



الورقة التحليلية

مليشيات المشروع الإيراني في سوريا (٣) المستقبل والأثر الإقليمي

إسهار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

الفهرس

2	مقدمة:
4	أولاً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على مصالح السوريين:
4	على نظام الأسد:
7	على الحاضنة الشعبية الموالية للنظام:
8	على الحاضنة الشعبية المعارضة:
10	ثانياً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على الفاعلين بالقضية السورية:
10	1-2- على مصالح إيران:
12	2-2- على المصالح الروسية:
15	2-3- على المصالح الأمريكية في سورية:
17	2-4- على المصالح التركية:
19	ثالثاً: مليشيات المشروع الإيراني أداة لتهديد دول الجوار:
19	1-3- على الأردن:
20	2-3- على "إسرائيل":
22	3-3- على العراق:
23	3-4- على لبنان:
25	رابعاً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على دول الخليج:
27	خامساً: بين مليشيات المشروع الإيراني وتنظيمات الغلو الإرهابية ك"داعش":
30	سادساً: مستقبل مليشيات المشروع الإيراني في سورية:
42	سابعاً: الاقتراحات والتوصيات:

مقدمة:

أظهرت إيران خلال السنوات السابقة تركيزاً على السياسة الخارجية ورغبة كبيرة في التدخل في الشؤون الداخلية للدول المجاورة والإقليمية بأدوات صلبة وناعمة، ومما ساعدها على ذلك قدرتها على قراءة الأحداث السياسية ذات الصلة، والتفاعل معها بشكل سريع بما يخدم مشروعها الإقليمي في المنطقة. فقد تمكنت إيران من استثمار الغزو الأمريكي على العراق لتوسيع نفوذها وانتشارها، والتحكم بمفاصل الحكم فيه لاحقاً، كما استطاعت عبر حلفائها في المنطقة استثمار انسحاب حليفها الأول - النظام السوري - من لبنان عام 2005 عقب مقتل الرئيس رفيق الحريري، والدفع بأدائها مليشيا "حزب الله" لملء الفراغ الذي خلفه هذا الانسحاب، وإحكام سيطرتها غير المباشرة على لبنان. كما ساهمت العلاقات التي أسستها إيران مع نظام الأسد وخاصة في عهد "بشار"¹، بتحقيق هامش نفوذ كبير سواء في المجال العسكري أو الاقتصادي وصولاً للسياسي، بشكلٍ رسّخ وجودها في المنطقة، وأظهر ملامح مشروعها "الهلال الشيعي" بشكل واضح.

ومع اندلاع موجات الربيع العربي، كانت إيران مستعدةً للتحرك منذ الساعات الأولى خاصة في سورية، غير مكتفية بحماية نظام الأسد، بل أرادت إيران استثمار حالة الفوضى واستغلال الحراك الشعبي كحجة لترسيخ نفوذها في سورية بشكل أكبر، وجعل وجودها العسكري مُبرراً، ثم شرعنة هذا الوجود تحت ستار محاربة "التنظيمات الإرهابية" التي ساهمت إيران مع حلفائها بظهورها وتوظيفها في المنطقة بشكلٍ مباشر أو غير مباشر. وعلى امتداد السنوات الثمان الماضية، حصدت إيران الكثير من المكاسب الاستراتيجية التي جعلتها قوةً إقليمية ذات ثقل ونفوذ وتأثير في توازنات المنطقة السياسية، خاصة مع امتلاكها شبكةً واسعة من القادة والمقاتلين والموارد والأسلحة التي تمتد من البحر المتوسط وصولاً إلى أفغانستان، وهو ما يجعل إمكانية إضعافها أو استهدافها أمراً في غاية الصعوبة، ويمكنها من عقد تحالفات ومساومات سياسية تحصل من خلالها على المزيد من الميزات والنفوذ على حساب دول الجوار والإقليم.

تسعى هذه الورقة البحثية المعنونة بـ "مليشيات المشروع الإيراني في سورية (3): المستقبل والأثر الإقليمي" وهي الجزء الثالث والأخير في هذه سلسلة "مليشيات المشروع الإيراني في سورية" الصادرة عن مركز الحوار السوري، إلى فهم تأثير وجود هذه المليشيات على مصالح الفاعلين المحليين والإقليميين والدوليين في القضية السورية، ودراسة انعكاسات هذا التأثير على دول الجوار والمحيط الإقليمي، بما يساعد على استقرار مستقبل هذه المليشيات في سورية، وتأثيرها على شكل الحل السياسي وعلى مستقبل البلاد.

وتأتي هذه الورقة الختامية بعد التقرير الأول الذي نشره مركز الحوار السوري ضمن سلسلة تحمل عنوان "مليشيات المشروع الإيراني في سورية"، وقد حمل التقرير عنوان "مليشيات المشروع الإيراني

¹ تزايد النفوذ الإيراني في سورية في عهد بشار الأسد وخاصة بعد احتلال العراق، حيث تعمد النظام السوري تسهيل مرور المقاتلين والأسلحة والدعم اللوجستي إلى العراق، كما ساهم ضغط أمريكا والمجتمع الدولي على سوريا، بعد اتهامها باغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، إلى دفع نظام الأسد للتشبث بالعلاقة مع طهران، مما حوّل الدور السياسي والنفوذ الإقليمي إلى مصالح حيوية لإيران في سورية على غرار كل من العراق ولبنان. المصدر "النقاء المذهبي.. مشروع إيران لتغيير التركيبة السكانية بسوريا"، موقع ميدان، تاريخ النشر 20-2-2017، <http://bit.ly/34lpplz>

في سورية (1): التصنيف والتبعية وعوامل الحشد"²، استعرض فيه بنية الميليشيات الأجنبية التي استقدمتها إيران من خارج سورية والمليشيات المحلية التي قامت بتجنيدتها، كما سلّط الضوء على الوسائل والأدوات التي مكّنت إيران من حشد هذه الأعداد، كذلك بعد الورقة البحثية الثانية التي حملت عنوان "مليشيات المشروع الإيراني في سورية (2): الأدوار ومجالات التأثير"³ والتي ركّزت على دراسة الأدوار التي لعبتها تلك الميليشيات خلال السنوات الماضية، وتتبع التحولات التي طرأت عليها انتقالاتاً من الشكل العسكري إلى أشكال التغلغل الاقتصادي والاجتماعي والديني.

وقد ركز القسم الأول في ورقتنا الثالثة هذه على فهم تأثير وجود مليشيات المشروع الإيراني المحلية والأجنبية على مصالح السوريين من مختلف التوجهات السياسية، بينما فصلّ القسم الثاني في دراسة انعكاسات وجود هذه الأعداد من الميليشيات والمقاتلين التابعين لإيران على مصالح عدد من الفاعلين الإقليميين كإيران وتركيا، وبعض الفاعلين الدوليين كروسيا وأمريكا. وركز القسم الثالث من الورقة على تأثير هذه الميليشيات على دول الجوار كلبنان والعراق والأردن و"إسرائيل"، بينما حاول القسم الرابع استقراء إمكانية استغلال إيران لهذه الأذرع العسكرية كأداة لتهديد بعض دول المنطقة كدول الخليج العربي، وسلط القسم الخامس الضوء على العلاقة بين مليشيات المشروع الإيراني وبعض تنظيمات الغلو الإرهابية ك"داعش" محاولاً التنبؤ بإمكانية استثمار كل منهما للآخر.

سعى القسم السادس من الورقة بعد ذلك لرسم مجموعة من السيناريوهات العامة والسيناريوهات الفرعية التي يمكن من خلالها توقع مستقبل تلك الميليشيات في سورية، مع التركيز على السيناريو "النموذجي" والسيناريوهات الأكثر احتمالاً، فيما ختمت الورقة في قسمها الأخير ببعض التوصيات الموجهة للسوريين من مختلف التوجهات السياسية، سواء كانوا أفراداً أم منظمات أم سياسيين.

² يمكن الاطلاع على الورقة الأولى عبر الرابط <http://bit.ly/2QZWZ4Y>

³ يمكن الاطلاع على الورقة الثانية عبر الرابط <http://bit.ly/2XNBICx>

أولاً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على مصالحي السوريين:

يمكن القول إن السوريين هم أهم الفاعلين الذين يمكن أن تتأثر مصالحهم نتيجة وجود الأعداد الكبيرة من المليشيات التابعة لإيران، كما أنهم أكثر المتضررين من الهوية الطائفية التي اصطبغت بها تلك المليشيات على اختلاف توجهاتهم السياسية، عدا عن كونهم أضعف الفاعلين حالياً في التأثير على مستقبلها في بلادهم والتي تشير الوقائع التي أوردناها في الورقة الثانية من هذه السلسلة⁴ إلى أنها استطاعت اختراق المجتمع السوري والتحكم بمفاصل السلطة والنفوذ.

ويمكن دراسة أثر وجود هذه المليشيات وفق ثلاثة مستويات وهي:

- تأثيرها على نظام الأسد.
- تأثيرها على الحاضنة الشعبية المؤيدة للنظام.
- تأثيرها على الحاضنة الشعبية المعارضة للنظام.

تأثيرها على نظام الأسد:

دعمت مليشيات المشروع الإيراني نظام الأسد خلال السنوات الماضية، إلا أنها تسببت له بمجموعة من التأثيرات الإيجابية والسلبية والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

- 1- **ترجيح الكفة العسكرية:** دعمت مليشيات المشروع الإيراني نظام الأسد عسكرياً وأنقذته من الانهيار، ومكنته من تعويض النقص العددي في المقاتلين، وقيادة المعارك ضمن محاور هامة فشل في إحراز تقدم سابق فيها، وهو ما كان نتيجة انتصاراً عسكرياً تم على إثره استعادته معظم المناطق التي خرجت سابقاً عن سيطرته⁵.
- 2- **اختطاف القرار السوري:** رغم أن مليشيات المشروع الإيراني رجحت كفة نظام الأسد عسكرياً، إلا أنها - خاصة "الحرس الثوري الإيراني" - نافسته في دوائر السيادة والقرار، حيث حرصت على إقامة شبكة علاقات مع بعض قيادات جيش النظام والفروع الأمنية، ورجال الاقتصاد المقربين من النظام، وبعض رجالات الطائفة العلوية أو عائلة الأسد ممن زاد نفوذهم بعد الدعم الإيراني لهم⁶. وبالتالي سعت هذه المليشيات إلى تشكيل هياكل موازية لهيكل الدولة من النواحي العسكرية والأمنية والاقتصادية، بشكل لا يمكن الحكم حالياً على درجة تأثيره في القرار، خاصة وأن شكل الدولة المستقبلي وشكل الحل السياسي لم يتحدد بعد.
- 3- **تأثيرها على استعادة الشرعية الدولية:** لم يكن النفوذ الإيراني في سوريا جديداً، إلا أن دخول مليشيات المشروع الإيراني على خط الصراع العسكري، واستقرار قسم كبير منها في سوريا، فاقم مخاوف دول الجوار من إمكانية استخدام تلك المليشيات كأداة لتهديد أمن المنطقة، وهو ما أكسب

⁴ انظر قسم الأدوار غير القتالية للمليشيات المشروع الإيراني في سورية، المصدر السابق

⁵ راجع قسم الأدوار القتالية للمليشيات المشروع الإيراني في سوريا، في الورقة الثانية من هذه السلسلة

⁶ ستة سيناريوهات لمستقبل المليشيات الموالية للنظام في مرحلة ما بعد الحرب، معهد هولندا للعلاقات الدولية، ترجمة المرصد الاستراتيجي، تاريخ

النشر آذار 2019، <http://bit.ly/2kYyCqC>

نظام الأسد ورقة يمكنه الاستفادة منها والمفاوضة عليها لاستعادة شرعيته الدولية وخاصة العربية، بعد أن يصل إلى مرحلة الاستقرار⁷.

4- خلخلة الصف الداخلي العسكري والأمني: أصبحت الميليشيات التي أسستها إيران في سورية أداة للاستقطاب بين الأطراف الداعمة للنظام والمتصارعة على النفوذ كروسيا وإيران، حيث تسعى كلا الدولتين إلى سحب بعض من هذه الميليشيات إلى طرفها وضمها ولأهمها وتعزيز نفوذها العسكري والأمني والاقتصادي⁸، وقد نجحت روسيا في السنوات الأخيرة في جلب العديد من الميليشيات المحلية⁹ التي أنشأتها إيران إلى طرفها، مستغلة ضعف التمويل الإيراني وتراجع نتيجة للعقوبات المفروضة عليها، كما عملت روسيا على تحجيم نفوذ الميليشيات التابعة لإيران من خلال معاقبة واعتقال بعض الضباط والمجندين فيها، مما دفع ميليشيات محسوبة على إيران في جيش الأسد باعتقال ضباط وجنود موالين للروس في معتقلات أخرى¹⁰.

وبالتالي تحوّلت هذه الميليشيات المسلحة من عامل لتعزيز استقرار نظام الأسد على الأرض إلى عامل محرض لصراعات داخلية وخاضع لأجندات خارجية، ظهرت بوادره في العديد من الخلافات التي تطورت إلى صدامات عسكرية تم احتواؤها مرحلياً، إلا أنها مرشحة للانفجار في المستقبل. ورغم محاولة نظام الأسد للعب على الأوراق والمصالح المتناقضة، من خلال دعم المساعي الروسية التي تظهر عودة الاستقرار والشكل السابق للدولة، وخاصة في شقه الأمني والعسكري دون التضحية بالشبكات والميليشيات المسلحة التي أنشأتها إيران والتي ساهمت في حمايته، إلا أنه يواجه صعوبة كبيرة في الموازنة بين الأمرين، خاصة وأن هذا الاستقطاب انتقل إلى دوائره الداخلية المؤثرة على صنع القرار¹¹.

5- انتشار الفوضى الأمنية: خلق وجود الميليشيات المحلية والأجنبية التابعة لإيران حالةً من الفوضى الأمنية وفوضى السلاح، خاصة مع مساعيها لبسط نفوذها وتأمين وجودها من خلال إقامة مربعات

⁷ تلقى بشار الأسد عام 2019 عرضاً سعودياً، نقله وزير خارجية عمان "يوسف بن علوي"، يقضي بإنهاء الصراع في سوريا والمضي في تثبيت الاستقرار بتوافق إقليمي ودولي، خصوصاً من الجانب الأمريكي، والإسرائيلي، مقابل إعلان الأسد انتهاء الحرب في سوريا والطلب من إيران ومليشياتها مغادرة الأراضي السورية"، كما التقى "بن علوي" وزير الخارجية السوري وليد المعلم، حيث تركزت المحادثات على نقطة وحيدة وجوهية، وهي كيفية التعامل مع النفوذ الإيراني في سوريا، أو طرد الميليشيات الإيرانية، حيث أوضح الوزير العماني أن التقاطعات الدولية في سوريا تتعلق بالوجود الإيراني، وبقاء هذا النفوذ والمليشيات سيكون بمثابة عقبة أمام الدولة السورية لاستعادة دورها العربي والإقليمي".

المصدر "صحيفة سعودية تكشف عن عرض قدمه وزير خارجية عُمان لـ"بشار"، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر 12-7-2019، <http://bit.ly/2YPSHzx>

⁸ عملت الميليشيات التابعة لإيران على الاستيلاء على المناجم وحمايتها تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه مع نظام الأسد في طهران، لكن روسيا زجت بـ"قوات النمر" في الصراع، التي بدورها هددت ميليشيات إيران بقصف أي حمولة تخرج من المناجم للتصدير، ثم نفذت تهديدها وشنّت هجوماً واستولت على المناجم بالقوة وطردت الميليشيات التابعة لإيران منها.

هكذا طردت روسيا "مليشيات إيران" من مناجم الفوسفات في سوريا (صور)، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 17-3-2018، <http://bit.ly/35roHfd>

⁹ من أهم الميليشيات التي انتقلت تبعتها من الجانب الإيراني إلى الجانب الروسي مليشيا لواء القدس الفلسطينية، صقور الصحراء، مغاوير البحر، وقسم كبير من مليشيات الدفاع الوطني

¹⁰ قدر العميد أحمد رحال عدد الضباط والعناصر المحسوبة على إيران الذين تم اعتقالهم بـ 2400 شخص وجهت لهم تهمة جنائية منها الفساد أو الدعارة، حيث تم استحداث فرعين مخصصين لهؤلاء الضباط في عدرا وصيدنايا، حيث إن التهم الوجيهة إليهم هي تهمة جنائية منها الفساد أو الدعارة

المصدر: "معتقلات سرية.. كيف تسعى روسيا إلى تفكيك الأذرع الإيرانية في مليشيا أسد؟" موقع أورينت، تاريخ النشر 11-4-2019، <http://o-tv.AN/2019-4-11>

¹¹ لم يقتصر هذا الاستقطاب على الأطراف والجهات العسكرية في سوريا، بل انتقل إلى الدوائر الداخلية لنظام الأسد، فهناك من داخل النظام من يريد التخلص من هذه الهياكل والمليشيات وتحجيم النفوذ الإيراني خاصة التيار المحسوب على روسيا، وهناك تيار آخر مقرب من إيران يريد المحافظة على تلك الميليشيات كنموذج مقارب لنموذج حزب الله في لبنان.

حواجز وتجنيد مقاتلين، وهو ما أدى إلى تضارب الصلاحيات والمصالح ومناطق النفوذ فيما بينها وتسبب في حدوث تصادمات تطورت في بعض الحالات إلى صدامات مسلحة¹².

ورغم أن هذه الفوضى الأمنية ورواج أنشطة تجارة السلاح أثرت على الحاضنة الشعبية للنظام سلبياً، إلا أنها خدمت نظام الأسد من عدة نواحٍ أهمها:

- استخدم نظام الأسد الفوضى الأمنية التي تسببت بها هذه المليشيات؛ لتطويع بعض مجتمعات الأقليات، ففي السويداء على سبيل المثال، أطلق النظام يد تلك المليشيات المحلية وغير المحلية كحزب الله، ودفع بعض فروع الأمن لدعمها بالمال والسلاح¹³، وهو يدرك تماماً ما ستقوم به من عمليات سرقة وابتزاز وخطف وتضييق على الناس، وذلك في محاولة منه للضغط على "الطائفة الدرزية" في محافظة السويداء وتخييرها بين العودة الكاملة والخضوع المطلق لنظام الأسد وبين استمرار الفوضى وانفلات الأمن¹⁴.
- أمنت حالة الفوضى التي سببتها هذه المليشيات المسلحة المتداخلة النفوذ والولاء والعلاقات مع بعض الفروع الأمنية، غطاءً مناسباً لنظام الأسد للتخلص من خصومه¹⁵ سواء المحسوبين عليه أو ممن يخشى انقلابهم، أو ممن تورطوا في جرائم سابقة يمكن أن تستغل حالياً كأوراق ضغط دولية كغازي كنعان ورستم غزالة¹⁶، أو للتخلص من قيادات المعارضة التي انخرطت في تسويات مصالحة برعاية روسية، أو من بعض الشخصيات الدرزية التي رفضت الخضوع له كالشيخ وحيد البلعوس قائد قوات الكرامة الدرزية¹⁷، أو التخلص أيضاً من عدد من رؤساء الأفرع الأمنية الذين تورطوا في جرائم قتل أو تعذيب وبتوا يشكلون عبئاً على النظام كرئيس فرع الأمن العسكري بحمص، ورئيس فرع الأمن العسكري بدير الزور¹⁸، ورئيس فرع المخابرات

¹² انظر القسم الثالث من الورقة الثانية من هذه السلسلة الذي يحمل عنوان "الصراعات الداخلية"

¹³ "السويداء: الأمن العسكري يحرض البدو على الدروز؟" موقع المدن، تاريخ النشر 13-8-2019، <http://bit.ly/35KkMKv>

¹⁴ أوصل نظام الأسد عبر عدد من رجاله العديد من الرسائل إلى وجهاء المحافظة، ركزت على أن نظام الأسد على استعداد أن يعيد ضبط أمن المحافظة، بمقابل تفويض مشايخ العقل وعائلات السويداء، بإطلاق يده لاعتقال كل من بحقه نشرة شرطية. الأمر الذي أثار مخاوف المجتمع، خصوصاً أن هناك عشرات آلاف الشباب المطلوبين للخدمة العسكرية الإلزامية والاحتياطية، كما يوجد مئات الناشطين والمعارضين، في حين أن أعداد المجرمين لا تزيد عن بضع عشرات.

المصادر: "الأمن المفقود في سورية: النظام يستثمر فوضى السويداء"، موقع العربي الجديد، تاريخ النشر 28-12-2018، <http://bit.ly/2qC4zbl>

الاقتتال الداخلي: إستراتيجية النظام الجديدة لإخضاع السويداء"، موقع المدن، تاريخ النشر 18-4-2019، <http://bit.ly/2QTU6Tc>

¹⁵ بالنظر إلى أغلب عمليات الاغتيال التي حدثت في السنوات الماضية، نجد أن معظمها حدث في مناطق أمنية - كدير الزور وحمص- والتي تخضع لنفوذ مليشيات مقربة من إيران أو محسوبة عليها، حيث يفهم البعض أن استهداف رؤساء الأفرع الأمنية قد يندرج تحت عمليات استباقية من إيران التي تسيطر على عمل بعض الفروع الأمنية في محاولة لمنع انتقال بعض الشخصيات المؤثرة إلى الطرف الروسي والتبعية له، أو محاولة من نظام الأسد للتخلص من الأسماء المحروقة والشخصيات المتورطة بانتهاكات، حتى لا تصبح مستقبلاً دليلاً إضافياً لتورطه ومسؤوليته.

ومن جهة أخرى وبالنظر إلى الجهة المستفيدة من هذه الاغتيالات جاء مقتل كل من رستم غزالة وغازي كنعان في مصلحة كل من نظام الأسد وحزب الله المهتمين بالتورط في جريمة اغتيال الحريري، أما عمليات الاغتيال التي تجري في درعا والتي طالت قادة للمصالحات فيظن أن ليس لروسيا مصلحة فيها، وإنما تصب فائدتها في خدمة نظام الأسد والمليشيات الداعمة له.

¹⁶ كيف نفذت "المخابرات الجوية" عمليات اغتيال موالين ومعارضين سوريين؟، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 9-9-2019، <http://bit.ly/2pdbKFD>

¹⁷ البلعوس: قصة اغتيال معلى، موقع المدن، تاريخ النشر 7-9-2019، <http://bit.ly/2mPWepj>

¹⁸ "محاولة بالشوك.. مقتل رئيس فرع الأمن العسكري بدير الزور ونائبه"، شبكة شام، تاريخ النشر 18 شباط 2018، <http://bit.ly/2nykICz>

الجوية بدرعا¹⁹، حيث أمنت الأجواء التي رافقت وجود الميليشيات بيئة مثالية لتنفيذ تلك الاغتيالات، جعلت من عملية تتبع المسؤولين عنها أمراً بالغ الصعوبة.

تأثيرها على الحاضنة الشعبية الموالية للنظام:

يعتبر المواليون لنظام الأسد أن إيران هي الحليفة التي دعمت النظام بالمال والسلاح والأفراد، وثبتت أركان حكمه أمام أكبر "مؤامرة كونية" كادت أن تودي به، إلا أن الكثير منهم كانوا يتوقعون عودة حالة الأمن والاستقرار - بعد أن حُسمت معظم المعارك عسكرياً - بما يسمح لهم بمزاولة حياتهم بشكل طبيعي والتعافي من سنوات الحرب وخاصة على الصعيد الاقتصادي.

إلا أن الاستقرار والتعافي الاقتصادي الذي ينتظره مؤيدو الأسد لا تبدو ملامحه قريبة، حيث إن الوجود الإيراني وتوابعه في سورية، وما لحقه من تشديد العقوبات الاقتصادية على إيران وبعض ميليشياتها وشركاتها ورجالها والاقتصاديين المحسوبين عليها في سورية²⁰، يعتبر أحد أسباب تردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي خلال الأعوام الأخيرة، كما أن عملية إعادة الإعمار لن تبدأ في المستقبل المنظور، خاصة وأن المجتمع الدولي يربطها بالحل السياسي، وبخروج إيران ومليشياتها الأجنبية من سورية²¹، وبالتالي فإن الاقتصاد السوري سيتابع انحداره، وستكون الحاضنة الشعبية للنظام المتضرر الأكبر من جراء ذلك وستواجه المزيد من الأزمات الداخلية وخاصة أزمة الوقود.

كما أن تصنيف الولايات المتحدة مؤخراً لبعض الميليشيات الإيرانية²² والعراقية²³ التي لها وجود في سورية كجهات إرهابية، والاستهداف المباشر الذي تقوم به "إسرائيل" لمواقع تمركزها ومستودعات تسليحها، يشير إلى ارتفاع احتمال تكرار الضربات العسكرية والذي قد لا يجبر إيران ومليشياتها على الخروج، وإنما قد يكون له أثر رادع يقوم بإضعافها، وبالتالي قد يكون المدنيون وحتى عناصر جيش النظام عرضةً لخطر هذه الضربات؛ نظراً لأن معظم المقرات والقواعد العسكرية لتلك الميليشيات تقع في مناطق قريبة من تجمعات المدنيين.

ومن جهة أخرى يتبرم العديد من السوريين من تمركز هذه الميليشيات في العديد من المدن والبلدات ومن الأنشطة التي تقوم بها، والتي تهدف إلى تغيير هويتها الديمغرافية كما في بلدات جنوب دمشق وريف دير الزور، بالإضافة إلى ما تقوم به من التضييق على السكان المحليين، ومحاولة الاستحواذ على ممتلكاتهم بالشرء أو المصادرة، وتزايد أنشطة التشييع التي تقوم بها إيران عن طريق النشاطات الإغاثية والتعليمية

¹⁹ " شكوك بشأن أسباب وفاة رئيس فرع المخابرات الجوية في درعا"، موقع العربي الجديد، تاريخ النشر 9-9-2019، <http://bit.ly/2orOkMg>

²⁰ "العقوبات الأمريكية تطال "الشويكي" أحد أبرز رجال الأعمال السوريين المتورط بتمويل ميليشيات إيران"، شبكة شام، تاريخ النشر 21-11-2018، <http://bit.ly/2siUQai>

"عقوبات أميركية تطال شركات ورجال أعمال"، موقع جريدة الأخبار، تاريخ النشر 7-9-2018، <https://al-akhbar.com/Syria/257538>

²¹ "واشنطن تربط إعادة الإعمار في سورية بخروج إيران"، عنب بلدي، تاريخ النشر 28-9-2019، <http://bit.ly/37AGKBc>

²² "دونالد ترامب يصنف الحرس الثوري الإيراني "منظمة إرهابية"، موقع bbc بالعربي، تاريخ النشر 4-8-2019، <https://bbc.in/2NsWwpy>

²³ تبنى الكونغرس الأمريكي مشروع قرار صنف فيه ثلاث ميليشيات عراقية مرتبطة بإيران ولها فروع تقاتل في سورية على لوائح الإرهاب، وهي عصائب أهل الحق بزعامة قيس الخزعلي، وحركة النجباء بزعامة أكرم الكعبي، إضافة إلى حزب الله العراقي.

المصدر "الكونغرس يصنف 3 ميليشيات عراقية على لوائح الإرهاب"، موقع عربي 21، تاريخ النشر 18-5-2018، <http://bit.ly/35Boaah>

أو الإغراءات المالية والأنشطة المشبوهة كزواج المتعة²⁴ وتجارة المخدرات، والتي تستقطب الشباب العاطلين عن العمل وتقوم بتجنيدهم في صفوفها مقابل رواتب مغرية؛ الأمر الذي يعني تنامي فوضى السلاح وإمكانية استغلال هؤلاء الشباب كمرتزقة في صراعات لا طائل منها²⁵.

وإلى جانب ذلك كله يعزز وجود هذه الميليشيات حالة الفوضى الأمنية وفوضى السلاح التي يقع المدنيون ضحيتها بالدرجة الأولى، سواء من ناحية الحواجز والتفتيش أو من ناحية الأتاوات التي تفرضها بعض الميليشيات، أو نتيجة الأنشطة غير المشروعة التي تقوم بها ميليشيات أخرى كتجارة السلاح والمخدرات والآثار وعمليات الخطف والتصفية والابتزاز، أو نتيجة الاستخدام العشوائي للسلاح في حلّ الخلافات والذي يسقط على إثره مدنيون أبرياء، حيث بدأت مظاهر هذا الاستياء تظهر مؤخراً، من خلال ظهور بعض العمليات التي تستهدف فيها تلك الميليشيات خاصة الأجنبية منها²⁶.

تأثيرها على الحاضنة الشعبية المعارضة:

رغم أنّ الكثير من الغموض يلف مصير مناطق المعارضة السورية التي تضم ما يقارب 5 مليون سوري²⁷، إلا أن معظم المعارضين لنظام الأسد يدركون أن إيران هي العدو الأكبر بالنسبة لهم، وأنها عبر دعمها لنظام الأسد والمليشيات العسكرية التي استقدمتها وجندتها، وفتحت لها المجال لارتكاب مجازر طائفية، حولت الثورة السورية من حراك شعبي سلمي إلى واقع فرض على الثوار السوريين حمل السلاح للحفاظ على وجودهم وحماية عائلاتهم.

ويملك النازحون والمهجرون السوريون في مناطق المعارضة الكثير من القصص المرعبة التي تشير إلى دور تلك الميليشيات في تأجيج الصراع وتحويله إلى صراع طائفي بامتياز من خلال تأليبها للقرى الشيعية التي عاشت قبل الثورة السورية حالة من التعايش الإيجابي مع جاراتها من القرى السنية، فحوّلت العلاقة بينهم إلى عدا و رغبة في الثأر والانتقام، مما أثر سلباً على بنية المجتمع السوري ووحدته.

²⁴ انتشرت في العديد من المناطق التي تخضع لسيطرة الميليشيات الشيعية الإيرانية. مكاتب مختصة بتيسير زواج المتعة والذي يقوم على إبرام عقد زواج لفترة محددة، يدوم لمدة أدها ساعة واحدة وقد يصل ليوم واحد أو أسبوع، وقد يمتد أيضاً إلى 99 سنة كحد أقصى ، وتتبع هذه المكاتب التي تنتشر بشكل كبير في أحياء حلب الشرقية إلى مليشيا حزب الله اللبناني أو العراقي ، والتي توفر للأزواج الجدد إيجار الشقق، لإتمام الزواج على الفور، حيث تتقاضى المرأة مبالغ تتراوح بين 20 و50 يورو في اليوم، وقد تنخفض تسعيرهن وفقاً لمدة الزواج.

المصدر: "ليبراسيون: عقود زواج المتعة" في انتشار متواصل بسوريا" موقع عربي 21، تاريخ النشر 15-7-2018 ، <http://bit.ly/2rLm7IX>

²⁵ للاطلاع على المزيد حول هذه الأنشطة يمكن العودة إلى الورقة الثانية من هذه السلسلة، "مليشيات المشروع الإيراني في سورية، الأدوار ومجالات التأثير (2)" ، <http://bit.ly/2XNBICx>

²⁶ نقلت بعض وسائل الإعلام محلية أخباراً تؤكد نقل عدد من عناصر الحرس الثوري الإيراني ومليشيا "حزب الله" إلى مشافي العاصمة دمشق، بعد تسمم مياه الشرب في منطقة السيدة زينب، في حين ادعت مواقع أخرى أن التسمم كان نتيجة تناولهم أطعمة فاسدة

"معلومات جديدة حول حادثة تسمم عناصر من الحرس الثوري قرب دمشق"، موقع صوت العاصمة، تاريخ النشر 3-10-2019، <http://bit.ly/2o3O6LN>

²⁷ وهي آخر إحصائية صادرة عن فريق "منسقو الاستجابة" التابع لوحدة تنسيق الدعم والتي قامت على عملية تعداد حقيقي للمقيمين في المناطق المحررة المصدر "منسقو الاستجابة: عدد سكان الشمال السوري المحرر بلغ 4703846 نسمة بينهم 1674918 نازح ومهجّر قسري" ، شبكة شام ، تاريخ النشر

<http://bit.ly/37NKjEm> ، 2018-12-18

ومن جهة أخرى شاركت الميليشيات الشيعية التي استقدمتها وجندتها إيران في ارتكاب العديد من المجازر البشعة²⁸، حيث تواردت العديد من الشهادات التي تشير إلى سماع بعض الناجين من تلك المجازر للجهات لبنانية أو عراقية بين القوات التي ارتكبت تلك المجازر، كما أن تسريب العديد من الفيديوهات²⁹ التي تصور ارتكاب عناصر تلك الميليشيات لجرائم حرب كالذبح أو الحرق أو التعذيب والتي أطلقت فيها صيحات طائفية كان أمراً مقصوداً؛ الهدف منه تعزيز الشرخ في المجتمع السوري، وبث الرعب وإشاعة روح الانتقام بشكلٍ يدفع المعارضين للنظام إلى الهرب أو السفر أو القتال؛ دفاعاً عن وجودهم وأهلهم.

ولم تكتفِ هذه الميليشيات بتلك الممارسات بل كان لها الدور الأبرز في تهجير المعارضين إلى إدلب وتجويعهم وتجميعهم في رقعة محاصرة، كما فعل "حزب الله" في كلٍّ من القصير والزبداني ومضايا، بالإضافة إلى مصادرة أملاكهم وأراضيهم والاستحواذ عليها، وملاحقة عائلات المعارضين واعتقالهم أو التضيق عليهم.

وانطلاقاً مما سبق، سيظل وجود الميليشيات المحسوبة على مشروع إيران عقبةً في وجه أي حل سياسي مستقبلي في سورية يؤثر على السوريون على اختلاف توجهاتهم السياسية، وتهديداً ضمناً باستمرار سياسة البطش والتنكيل لكلٍّ من فكر يوماً بمعارضة نظام الأسد، وتلاعباً بأي انتخابات مقبلة عن طريق زيادة أعداد المؤيدين للنظام بعد تجنيس أعداد كبيرة من تلك الميليشيات³⁰.

كما أن بقاء تلك الميليشيات في سورية سيكون عاملاً رادعاً للعديد من اللاجئين الذين يفكرون في العودة، فالكثير من المناطق التي استعادها نظام الأسد والمليشيات الداعمة له، مُنع أهلها من العودة لها كالقصير³¹ ودير الزور وداريا والزبداني رغم مرور سنوات على استعادتها، فقد استولت تلك الميليشيات على العديد من المنازل والممتلكات وحولتها إلى مقرات أمنية، وقامت بهدم بعضها وخاصة في المحافظات الشرقية وبلداتها الحدودية³².

²⁸ وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان عام 2015، مقتل 1005 مدني على يد الميليشيات الشيعية الإيرانية والعراقية وحزب الله المصدر: جرائم الميليشيات الشيعية.. مجازر لا يكاد يراها أحد، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تاريخ النشر 3-2-2015، <http://bit.ly/2Nqde9d>

²⁹ "مليشيا شيعية عراقية تحرق جثة سوري في حلب (فيديو)"، موقع عربي 21، تاريخ النشر 11-12-2015، <http://bit.ly/2PvfxZR>، تهديد بحرق دمشق وسكانها وبقطع الرؤوس.. فيديو لأنصار ميليشيات شيعية يحي الأيمن يثير غضباً"، موقع السوري ت، تاريخ النشر 2-5-2018، <http://bit.ly/2Q2ESuu>

³⁰ تعتبر المعارضة السورية أن أي حديث عن انتخابات أو استفتاءات ستشارك فيه الميليشيات التي تم تجنيسها وعائلاتها، يعني بالضرورة تلاعباً بالنتائج من خلال التلاعب بالتركيبة السكانية، وإضعافاً لصوت المعارضة ومطالبها على حساب مطالب المؤيدين، خاصة وأن بعض المصادر تشير إلى أن أعداد المجنسين من هذه الميليشيات وعائلاتهم وامتداداتهم بلغت 2 مليون شخص.

صحيفة النهار: الأسد جنس 2 مليون "شيعي" لتغيير تركيبة سكان سوريا"، شبكة شام الإخبارية، تاريخ النشر 31-5-2019، <http://bit.ly/2mWlKHm>

³¹ منعت مليشيات "حزب الله" حوالي سبعين ألفاً من أهالي القصير الموجودين في لبنان، من العودة إلى مدينتهم المصدر "عن اتفاق المدن الأربع" موقع صحيفة الحياة، تاريخ النشر 19-3-2017، <http://bit.ly/2kQ5Los>

³² أشار تقرير صادر عن مركز كارنيغي إلى أن العديد من اللاجئين يرفضون العودة لأن منازلهم احتلها نازحون سوريون أو أطراف مرتبطة بالنظام، مثل الميليشيات الموالية لإيران، وأكثر المعنيين بهذه المسألة هم، اللاجئون من درعا وحمص وريف دمشق والزبداني والسيدة زينب، حيث وقعت بعض المناطق في قبضة ميليشيات إيرانية الولاء، حيث شرح أحد اللاجئين من ريف دمشق أسباب رحيله، قائلاً: "كانت الميليشيات هي السبب، الميليشيات الإيرانية... الميليشيات العراقية... وبدا أن ثمة خطة مدبرة عمداً لإجبار الناس على المغادرة".

ثانياً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على الفاعلين بالقضية السورية:

لا يمكن معرفة تأثير وجود مليشيات المشروع الإيراني في سورية على الفاعلين المحليين والإقليميين والدوليين بالقضية السورية، دون التركيز على مصالح تلك الدول ونقاط تقاطعها أو تعاكسها مع المصالح الإيرانية، خاصة مع وجود ذراع عسكري إيراني في المنطقة. ويمكن أن نجمل أثر مليشيات المشروع الإيراني على الفاعلين بالقضية السورية وفق مايلي:

1-2- على مصالح إيران:

أشارت بعض التقديرات الغربية إلى أن إيران أنفقت ما يقدر بنحو 15 مليار دولار لدعم نظام الأسد، حيث صرفت هذه الأموال على دعم العمليات العسكرية واستقدام المليشيات مختلفة الجنسيات، منها قرابة 10 آلاف مقاتل إيراني بين عامي 2011 و2014 قتل منهم قرابة 2100 شخص، بالإضافة إلى 130 ألف مقاتل شيعي غير إيراني³³. وعلى الرغم من الكلفة الباهظة التي قدمتها إيران فقد حققت الكثير من المكاسب، جراء استقدام هذه المليشيات إلى سورية يمكن تلخيصها بما يلي:

✓ تعزيز التجربة الإيرانية في قيادة الصراعات العسكرية العابرة للحدود:

عززت تجربة تدخل إيران العسكري في سورية من قدرتها على إنشاء المليشيات العابرة للحدود وإدارتها، وتنوع أساليب الحشد والتجنيد³⁴، كما سمحت لها بإعادة تقييم أنماط القتال العسكرية ضمن ظروف متغيرة، ومكنتها من تطوير أساليب التعامل المباشر مع جيوش أخرى الأجنبية (كالجيش السوري والروسي) وتدريب الوكلاء غير الإيرانيين³⁵.

وقد حققت تجربة القتال في سورية تطوراً مهماً على صعيد تعزيز العلاقات بين "طهران" و"موسكو"، حيث أعطت مثلاً لما يمكن أن يحققه التعاون المشترك عندما تتماشى المصالح الإيرانية والروسية، فقد كان الدعم الجوي الروسي المنسق بشكل وثيق مع قيادة "الحرس الثوري الإيراني" وشبكة المليشيات التابعة له، عاملاً حاسماً في نجاح المعارك وقلب الكفة لصالح نظام الأسد وبقاءه في السلطة.

ومن جهة أخرى خلق وجود تلك المليشيات في سورية ذريعة لتأسيس قواعد عسكرية علنية، وإنشاء قواعد جديدة في إشارة واضحة إلى بقائها لفترة طويلة في سورية، بالإضافة إلى تجريئها بعض منتجاتها العسكرية وطائراتها بدون طيار في الأجواء الإسرائيلية، مما أدى إلى مواجهات متقطعة بين الطرفين³⁶.

المصدر: "أصوات مہمشہ.. مواقف اللاجئين من العودة إلى سورية"، مركز كارينغي، تاريخ النشر 18-4-2018، <https://carnegie-mec.org/2018/04/18/ar-pub-76072>

³³ "Syria Changed the Iranian Way of War - And What That Means for a Future Conflict With the United States", By Ariane M.

Tabatabai, August 16, 2019, <https://fam.ag/2lNwx0E>

³⁴ راجع التقرير الأول من السلسلة، القسم الثاني "أدوات الحشد والتجنيد"

³⁵ المصدر السابق

³⁶ الطائرات المسيّرة تشعل حرب السماوات المفتوحة بين إيران و"إسرائيل"، موقع نون بوست، تاريخ النشر 25-8-2019، <http://bit.ly/35BZdvy>

✓ تعزيز وجودها ودورها في القضية السورية:

عزز وجود الميليشيات التابعة لإيران في سورية من قبضها ودورها في أي حل سياسي مستقبلي، وقدمها كأحد الأطراف الفاعلين الذين يجب أن تؤخذ مصالحهم بعين الاعتبار، حيث سيمكن وجود هذه الأعداد الكبيرة من المقاتلين إيران من إضعاف فرص الاستقرار المستقبلي داخل سورية فيما لو توجه المجتمع الدولي لإزاحة الأسد، وستبقى هذه الميليشيات ورقة رابحة تستخدمها طهران لاستنزاف أي شكل جديد من أشكال الحكم الذي لا يحقق لها مصالحها.

وقد أظهرت "اتفاقية المدن الأربعة" قدرة إيران على استغلال شبكة الميليشيات التابعة لها في خدمة مصالحها وضرب الدول الأخرى، وذلك من خلال قيام ميليشيات الحشد الشعبي في العراق باختطاف قطريين واحتجازهم لمدة تزيد عن العام، ثم المساومة على تسليمهم مقابل قيام قطر بالضغط على فصائل المعارضة السورية التي تدعمها، والضغط عليها لقبول اتفاق يحقق مصالح إيران في سورية في عملية تغيير ديمغرافي علنية، لم يتم الالتزام ببندوها فحسب، وإنما تم إلحاق بنود جديدة بها عبر إلحاق بند نقل مقاتلي "هيئة تحرير الشام" في مخيم اليرموك والمقربين من "داعش" ونقلهم إلى إدلب، بما يشير لقدرتها على استغلال الظروف المتجددة؛ لتحقيق مكاسب إضافية ضمن الاتفاقيات السابقة³⁷.

✓ إعادة رسم خريطة التحالفات للقوى ورفع وتيرة التهديد الأمني في المنطقة:

استغلت إيران ما تدعوه "محور المقاومة" ثم مفهوم "مكافحة الإرهاب" كذريعة لتعميق وجودها العسكري في المنطقة، فلم تكتفِ بمجرد استخدام ميليشيات "شيوعية" خارجية، ولم يقنعها مجرد السيطرة على الأراضي، بل سعت إلى بناء تحالفات مع القوى المحلية عبر التدريب والتجنيد والتمويل، بشكل مكثف من "تضخيم" قوتها في جميع أنحاء الشرق الأوسط من جهة، وعزز قدرتها على تأجيج صراعات عسكرية مباشرة أو بالوكالة خارج أراضيها بما يمكنها من ضرب أو تهديد مصالح الدول الإقليمية كـ"إسرائيل" والمملكة العربية السعودية وحتى المصالح الأمريكية والأوروبية في المنطقة³⁸.

وتشير عمليات إعادة انتشار الميليشيات المحلية وحزب الله في الجنوب السوري إلى رغبة إيران في "تهديد إسرائيل" عبر كل من جبهتي سورية ولبنان، وذلك من خلال آلاف الجنود الخاضعين لقيادة إيران و"حزب الله"، وعبر ترسانة من الأسلحة والصواريخ والقواعد العسكرية، وتشديد مصانع سلاح تحت الأرض³⁹.

ومن جهة أخرى مكنت تجربة إيران في سورية من تحويل مليشيا "حزب الله" من مليشيا عسكرية محلية فقط في لبنان إلى مليشيا إقليمية مدعومة بمليشيات شيعية عراقية متغلغلة في النظام

³⁷ توقع الإفراج عن المخطوفين القطريين مع تنفيذ صفقة سورية، قناة سكاى نيوز، تاريخ النشر 20-4-2017 <http://bit.ly/32sddpE>

³⁸ "Iran: Redrawing the Strategic Map of the Region" ، February 21, 2018 ، <http://bit.ly/2k95jkv>

³⁹ "إسرائيل تتحدث عن 'مصنع إيراني للصواريخ الدقيقة' في سورية"، موقع الشرق الأوسط ، تاريخ النشر 7-9-2019، <http://bit.ly/2XO4mh7>

الاقتصادي والسياسي العراقي، فنجحت إيران بذلك في تحقيق الجسر البري الذي يصلها بالبحر المتوسط مستغلة ما حدث في سورية لصالحها⁴⁰.

✓ تعزيز النفوذ الإيراني في دول "الهلال الشيعي" اجتماعياً واقتصادياً:

مكنت أنشطة حشد الميليشيات الأجنبية وتجنيدتها إيران من تجيير الطائفة الشيعية المنتشرة في العديد من البلاد لخدمة مصالحها الاستراتيجية، مستغلةً البعد الديني والأيدولوجي من جهة، والواقع الاقتصادي المتردي الذي تعيشه من جهة أخرى، فحولتها إلى خزان بشري يمدّها بعناصر مقاتلة، لن تكون كلفة خسارتهم باهظة بالنسبة لها، وقامت بتدريبهم وتأهيلهم وهيكلتهم بمليشيات عابرة للحدود أصبحت وقوداً لصراعات إقليمية⁴¹، وهو ما يزيد المخاوف من إمكانية استثمارهم مجدداً بعد عودتهم إلى بلدانهم، للتحكم بالطائفة الشيعية في بلدانهم، أو لتعزيز الانقسام الطائفي، وتأجيج صراعات داخلية فيها خدمة لمصالح إيران.

كما عزز وجود هذه الأعداد من المقاتلين قدرة إيران على تعميق نفوذها الاقتصادي في كل من سورية والعراق، وذلك من خلال إقامة مشاريع لإنشاء خطوط سكك حديدية تربط فيما بينها؛ بحجة تعزيز التعاون المشترك وزيادة الترانزيت وتنمية الاستيراد والتصدير فيما بينها، وذلك من خلال ربط ميناء "الإمام الخميني" الواقع على الجانب الإيراني من مياه الخليج العربي مع ميناء اللاذقية على البحر الأبيض المتوسط، وربط مدينتي شلمجة الإيرانية والبصرة العراقية في المرحلة الأولى، ثم ربط شلمجة بميناء "الإمام الخميني" وربط البصرة بميناء اللاذقية في مرحلته الثانية⁴².

وقد حولت إيران هذه الميليشيات لاحقاً إلى أداة لحماية مصالحها الاقتصادية الخارجية، فمع توجه إيران إلى إنشاء طرق بديلة لتصدير النفط كخطة طوارئ لتصدير نفطها في حال إغلاق مضيق هرمز⁴³، ركزت قوات "الحشد الشعبي" في العراق والمليشيات التابعة لها في سورية وجودها في مناطق إنشاء هذه الطرق والأنابيب؛ بهدف تأمين سلامتها وحمايتها من التخريب.

2-2- على المصالح الروسية:

التقت المصالح الإيرانية والروسية في سورية، على ضرورة دعم نظام الأسد وحمايته من السقوط؛ نظراً لأن بقاءه يحقق الأهداف الاستراتيجية لكلا البلدين، فقد شكلت الميليشيات التي استقدمتها إيران القوة

⁴⁰ <http://bit.ly/2k95jkv> ،February 21, 2018 ،bridges for peace "Iran: Redrawing the Strategic Map of the Region"

⁴¹ انتقد قائد من لواء «الزنبقون» في تصريح لوكالة أنباء فارس، الطابع «غير الإسلامي» للجيش الباكستاني ثم أعلن عن عودة مقاتلي لواء «الزنبقون» «منتصرين» من الانتفاضة السورية ليصبحوا اليد اليمنى للمرشد الأعلى في العالم، كما وعد قائد آخر أنّ مجندي لواء «الزنبقون» سيقاتلون الأعداء «الصهيويين التكفيريين» فور عودتهم إلى باكستان. وعلى نحو مماثل، عبّر أحد قادة لواء «الزنبقون» لمجلة «بنجر» الإيرانية المحافظة، عن استعدادة للقتال على أي جبهة، يعتبرها المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي ضرورية، سواء في العراق أو إسرائيل أو المملكة العربية السعودية؛ وأعلن قائد آخر، «إن شاء الله، سنحرق بيت الله وندمر العائلة المالكة في السعودية قبل أن نصل إلى القدس».

المصدر: " وكلاء إيران الأفغان والباكستانيين في سورية وخارجها"، معهد واشنطن، تاريخ النشر 2016-8-22، <http://bit.ly/2KWLCad>

⁴² " استهداف خط النفط الإيراني عبر بانياس يضاعف معاناة النظام" المرصد الاستراتيجي، تاريخ النشر 2019-8-29، <http://bit.ly/2m1xh2I>

⁴³ تسعى إيران لإنشاء طريق بري لتصدير النفط عبر السواحل السورية، وإنشاء خطوط أنابيب النفط تمتد من كركوك شمال العراق إلى مصفاة حمص ومرقاً بانياس على البحر المتوسط، المصدر السابق.

العسكرية الضاربة على الأرض التي عوضت النقص العددي الكبير في جيش النظام، وساعدته على استعادة العديد من المناطق التي خسرها⁴⁴.

إلا أن وجود مليشيات المشروع الإيراني الأجنبية وخاصة "حزب الله" على الأراضي السورية كان له تأثير على روسيا في عدة مجالات أهمها:

☒ **توظيف ورقة الميليشيات الإيرانية إقليمياً ودولياً:**

استغلت روسيا وجود الميليشيات التابعة لإيران كورقة تفاوضية رابحة استطاعت من خلالها عقد تفاهات مع كل من "إسرائيل" وأمريكا، ثبتت روسيا من خلالها وجودها في المنطقة، مقابل احتواء التمدد الإيراني في سورية والتخفيف من خطره، خاصة وأن روسيا تدرك بشكل كبير أن حسن إدارتها لهذه الورقة سيمكثها مستقبلاً من التأثير على شكل الحل السياسي النهائي في سورية، والضغط لإعادة التطبيع مع نظام الأسد، إن استطاعت تقليص الوجود الإيراني إلى الحد الذي يطمئن كلاً من أمريكا و"إسرائيل"⁴⁵.

☒ **إضعاف جهود الاستقرار ورفع احتمالات التصعيد مع إسرائيل:**

رغم محاولات روسيا التجاوب مع المخاوف الدولية وتقليص نفوذ إيران في سورية وخاصة قرب الحدود الجنوبية، إلا أنها لم تستطع حتى الآن تحقيق خطوات ملموسة في هذا المجال، حيث أظهرت الوقائع أن كل ما تقوم به إيران ومليشيا "حزب الله" في درعا من عمليات إعادة الانتشار والتمركز وأنشطة الحشد والتجنيد للسكان المحليين تم بمعرفة القوات الروسية وتغاضبها⁴⁶، وهو ما يرفع احتمالية اندلاع مواجهات عسكرية على نطاق محدود أو متوسط بين إيران و"إسرائيل".

وتدرك روسيا أن هذا الاحتمال ليس في مصلحتها، خاصة في حال تطورت تلك المواجهات وخرجت عن السيطرة، عندها ستجد روسيا نفسها مجبرة على التدخل بطريقة ما، والتورط في صراع غير محسوب العواقب، يمكن أن يفقدها الكثير من المكاسب التي حققتها، ولذلك قامت روسيا بالتنسيق مع "إسرائيل" لضربات عسكرية موجهة استهدفت مراكز القوة الإيرانية في سورية⁴⁷.

ومن جهة أخرى تفهم إيران أن سياسة الاحتواء الروسية لن تستمر طويلاً، وخاصة مع تزايد الضغوط الأمريكية الإسرائيلية، وبالتالي لن تتردد إيران في تحريك مليشياتها لاستهداف المصالح الروسية في سورية وخاصة الاستثمارات الاقتصادية، أو استهداف قاعدة حميميم العسكرية⁴⁸ في

⁴⁴ طريقة تفكير الأسد: كيف وصلت سورية إلى هنا وإلى أين يريد النظام الإنهاء الآن؟ ، ميشيل دوكوس و السفير روبرت إس. فورد ، معهد واشنطن ، تاريخ النشر 21 حزيران 2019 ، <http://bit.ly/2knmMGw>

⁴⁵ المصدر السابق

⁴⁶ تتواجد روسيا في مناطق الجنوب السوري بجيشها وليس بشرطها العسكرية وهي تغض الطرف عن كل أنشطة حزب الله في المنطقة المصدر: بالخرائط والصور.. مواقع ميليشيا حزب الله وعمالها جنوب سوريا" موقع تلفزيون سوريا، تاريخ النشر 21-3-2019، <http://bit.ly/2m4Xhu4>

⁴⁷ المصدر السابق

⁴⁸ كشفت التحقيقات الروسية أن مكان انطلاق طائرات الدرون التي كانت تهاجم قاعدة حميميم يملكه ذو الهمة شاليش المقرب من الأسد والمحسوب على إيران، كما وجهت جهات روسية اتهامات لبشار طلال الأسد قائد مليشيا الحارث التابعة لإيران بمسؤوليته عن الهجوم على قاعدة حميميم بالإضافة لقتل جنود روس خلال المعارك في محور كيننة

حال أظهرت روسيا تحركات جادة لإجبار إيران على الخروج من سورية بالقوة دون توافقات سياسية تضمن مصالحها، وهو ما يمكن أن يتطور لمصادمات عسكرية بين مليشيات محلية وغير محلية محسوبة على الطرفين.

☒ تحديات الموازنة بين المصالح الروسية والإيرانية:

تركز السياسة الروسية الحالية على إعادة ترتيب شكل النظام السوري ومؤسساته⁴⁹ بما يتوافق مع مصالحها ومع التصور الروسي لشكل الحل السياسي في سورية، وذلك من خلال محاولات إعادة هيكلة مؤسستي الجيش والأمن وتقليص نفوذ إيران عليهما، والإشراف على بعض مناطق المصالحات، والحصول على امتيازات اقتصادية وعقود استثمارية طويلة الأمد. ورغم كل محاولات روسيا لاحتواء الخلافات مع إيران، إلا أن حدة التوترات تزايدت منذ أواخر عام 2017، خاصة مع معارك دير الزور، التي حاولت فيها روسيا كبح جماح إيران بشكل واضح⁵⁰، ثم عملت بعدها على تقليص وجودها العسكري والاقتصادي في المنطقة⁵¹، إلا أن إيران والمليشيات المحسوبة عليها قاومت محاولات روسيا تحديد مناطق انتشارها، وحدثت صدامات عسكرية محدودة بدت وكأنها محاولة روسية لاختبار رد فعل إيران وهوامش التنازلات التي يمكن أن تقدمها⁵².

المصدر: "بين "درون" حميميم وصواريخ طرطوس.. فتش عن إيران"، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر 2018-7-23، <http://bit.ly/397ofVU>، "روسيا تهتم أحد أفراد عائلة الأسد بقصف حميميم" صحيفة حبر، تاريخ النشر 2019-10-17، <http://bit.ly/2sMbrn0>

⁴⁹ تدرك إيران أن هذه العلاقة المصلحية مع روسيا حالياً لن تستمر طويلاً، وتعي تماماً حجم الضغوط التي تسعى إلى إخراجها من المعادلة السورية، لذلك تسعى إلى ضمان مصالحها الاستراتيجية وتعزيز بقائها العسكري وغير العسكري، من خلال سعيها لتجنيس العديد من المليشيات الأجنبية التابعة لها، ودمج أخرى ضمن المؤسسة العسكرية، خاصة تلك التي كانت تقوم بالتنسيق مع الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري المحسوبين على إيران، ومحاولة التغلغل في المجتمع المدني من خلال الأنشطة التي تقوم بها بعض المليشيات أو الجمعيات أو المؤسسات المدنية المحسوبة عليها سواء في مجال الإغاثة أو الخدمات أو التعليم، في محاولة لمعادلة النفوذ الروسي على بعض مؤسسات "الدولة السورية"، وتثبيت وجودها الاقتصادي عن طريق توقيع العديد من العقود الاستثمارية مع حكومة النظام والتي تمكها من ضمان قبضتها على نظام الأسد، وحجز مكان لها في عملية إعادة الإعمار المستقبلي، والدفع بمشروعها الإقليمي بتمكين الهلال الشيعي

⁵⁰ منعت القوات الروسية وسائل الإعلام الإيرانية و"حزب الله" من دخول مدينة الميادين، خلال معارك دير الزور، وحصرت التغطية الإعلامية بالإعلام السوري وبعض القنوات الروسية، كما انتشرت بعض الإشاعات التي تحدثت عن قيام روسيا بتصفية بعض المحسوبين على إيران كالعميد عصام زهر الدين، في حين اتهمت روسيا إيران بمسؤوليتها عن قتل ضابط روسي في حزيران 2018، واعتقلت على إثر ذلك العشرات من مقاتلي الميليشيا الشيعية، ورفضت توفير الحماية الجوية للقوات الموالية لإيران ولا سيما خلال هجمات "داعش" المتكررة على مدينة البوكمال

المصدر: "الصراع الروسي الإيراني يتدلع في دير الزور"، موقع تشاتام هاوس، تاريخ النشر تشرين الثاني 2018، <http://bit.ly/2mvx2wY>

⁵¹ قامت روسيا في شباط 2019 باستهداف مواقع حساسة لتلك المليشيات الشيعية، وذلك بقصف جسور على نهر الفرات تسيطر عليها وتستخدمها في عمليات تهريب الوقود والمواد الغذائية بين ضفتي نهر الفرات، ثم أرسلت روسيا تعزيزات من القوات العسكرية الموالية لها إلى نفس المنطقة وزودتها بالدبابات والأسلحة الثقيلة، حيث جاءت هذه التطورات على خلفية اشتباكات حادة اندلعت بين قوات الفرقة الرابعة المحسوبة على إيران، وبين الفرقة الخامسة المحسوبة على روسيا والتي خلفت 68 قتيلًا

المصدر: "لأول مرة.. روسيا تشن هجوما عسكريا على مليشيات شيعية موالية لإيران في سورية"، موقع المرصد الإلكتروني، تاريخ النشر 2019-2-7، <http://bit.ly/2kXIGiL>

⁵² رفضت قوات "حزب الله" المساعي الروسية بالاستيلاء على معبر جوسيه الحدودي مع لبنان، والتقدم باتجاه مناطق القلمون، وقامت بإبعاد القوات الروسية والفرقة الحادية عشر التابعة لها، وتعزيز وجودها في المنطقة الحدودية وخاصة القصير

المصدر: "الموافقة على وجود قوات النظام في جنوب سورية لن تؤدي إلا إلى تعزيز أهداف إيران"، حنين غدار و فيليب سميت، معهد واشنطن، تاريخ النشر 2018-5-29، <http://bit.ly/2kLPUY9>

3-2- على المصالح الأمريكية في سورية:

رغم حالة التوتر السياسي الذي ظهرت مؤخراً بعد تشديد العقوبات على طهران، وتصنيف عدد من الميليشيات التابعة لها كجهات إرهابية، إلا أن أمريكا لا تبدو جادة في إخراج تلك الميليشيات من سورية، خاصة وأنها أفسحت المجال لإيران لتجنيد ما يزيد عن مئة ألف من المقاتلين "الشيعية" الأجانب واستقدامهم إلى سورية على مدى سنوات، في وقت كان بوسعها التضييق ومنع هذه الجهود منذ الأيام الأولى.

ويمكن أن نجمل تأثير ميليشيات المشروع الإيراني على المصالح الأمريكية بالنقاط التالية:

○ الاستنزاف العسكري والاقتصادي لإيران:

يرى البعض أن أمريكا استخدمت سياسة إغراق إيران في المستنقع السوري، حيث غضت الطرف عن تدخل إيران العسكري وسمحت لها بنقل الجنود والأسلحة وخوض المعارك وارتكاب الانتهاكات وجرائم الحرب ومحاصرة المدنيين، فكانت هذه الميليشيات بأعدادها الكبيرة من المقاتلين وانخراطها في القتال لسنوات الوسيلة الأفضل، التي مكنت أمريكا في تحقيق هذا الاستنزاف عسكرياً واقتصادياً. فقد أنفقت إيران نتيجة لتدخلها في سورية ما يقدر بنحو 15 مليار دولار في الوقت الذي كان الاقتصاد الإيراني في أسوأ حالاته نتيجة العقوبات الاقتصادية، حيث صرفت هذه الأموال على دعم العمليات العسكرية واستقدام ما يقارب 140 ألف مقاتل من مختلف الجنسيات بينهم 10 آلاف مقاتل إيراني، وتقديم رواتب لها على مدار السنوات الماضية⁵³. كما خسرت الآلاف من المقاتلين خلال الحرب من جنسيات مختلفة، حيث بلغت تقديرات قتلى الحرس الثوري الإيراني في سورية قرابة 2100 مقاتل⁵⁴ بينهم عدد من القيادات كالجنرال "حسين همداني" نائب قائد "فيلق القدس" و10 جنرالات آخرين، و69 ضابطاً في الحرس الثوري برتبة عميد وعقيد⁵⁵، بينما تراوحت خسارة ميليشيا "حزب الله" بين 1300-1700 مقاتل معظمهم من قوات النخبة، ما يفوق خسائر حزب الله في حرب تموز 2006⁵⁶.

○ وسيلة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية:

أعطى وجود الميليشيات الأجنبية التابعة لإيران في سورية أمريكا ورقة ابتزاز إضافية ضد إيران، حيث استغلت أمريكا وجود تلك الميليشيات في سورية كذريعة للضغط على إيران من أجل تحقيق مكاسب سياسية في ملفات أخرى، والوصول معها إلى اتفاق بشأن برنامجها النووي.

⁵³ "Syria Changed the Iranian Way of War - And What That Means for a Future Conflict With the United States", By Ariane M.

Tabatabai, August 16, 2019, <https://fam.ag/2lNwx0E>

⁵⁴ المصدر السابق

⁵⁵ "صحيفة إيرانية تكشف للمرة الأولى أعداد قتلى الميليشيات الشيعية في سورية"، موقع أورينت نت، تاريخ النشر 4-11-2016، <http://o->

t.tv/nF8

⁵⁶ راجع فقرة خسائر ميليشيات المشروع الإيراني في سورية في الورقة الثانية من هذه السلسلة

وتشير سياسة العقوبات الاقتصادية التي تتبناها أمريكا إلى أنها تهدف لإضعاف نفوذ إيران في سورية وليس إلى إنهاء وجودها، خاصة وأن أمريكا لا تسعى إلى أي مواجهة عسكرية مباشرة مع إيران وفقاً لبعض التقارير⁵⁷.

كما أن تمدد إيران في سورية ونجاحها في تجنيد أعداد جديدة من المقاتلين، رفع خطر التهديدات الأمنية لدول المنطقة، ومكّن الولايات المتحدة من استثمار تلك التهديدات وخاصة الموجهة لدول الخليج العربي لعقد المزيد من صفقات التسليح وتوسيع قواعدها العسكرية فيها⁵⁸.

○ تهديد المصالح الأمريكية:

شكل وجود الميليشيات التابعة لإيران في سورية سلاحاً ذا حدين، حيث قدم لأمريكا مكاسب سياسية من جهة، ورفع من وتيرة التهديدات الأمنية لمصالحها في المنطقة من جهة أخرى، فقد فهمت إيران أن أمريكا ستكون صاحبة الكلمة الأخيرة في إقرار أي شكل للحل السياسي في سورية، فسعت لامتلاك أوراق قوة إضافية من خلال نشر ميليشياتها في محيط تواجد القوات الأمريكية في التنف، وفي المناطق القريبة من حلفاء الولايات المتحدة في الجنوب السوري.

كما حاولت إيران عبر تلك الميليشيات اختبار ردود الفعل الأمريكية، وذلك من خلال الدفع ببعض الميليشيات المحلية لتجاوز الخطوط المسموحة لها، إلا أن الرد الأمريكي كان حاسماً وسريعاً⁵⁹، فما كان من إيران إلا أن دفعت بإحدى ميليشياتها المحلية "لواء الباقر" والتي تتحدث باسم قبيلة "البكار"، لتعلن في بيان رسمي أنها بدأت الأعمال القتالية والجهادية ضد الاحتلال الأمريكي ومن يتحالف معه" في سورية بالحسكة وعموم الجزيرة، مهددة بأن المواقع الأمريكية ستكون تحت مرمى نيرانها⁶⁰.

وقياساً على التجربة العراقية، يبدو أن إيران تريد أن تشرعن وجود بعض الميليشيات التابعة لها مستغلةً الوجود الأمريكي في سورية، حيث تسعى إيران إلى تلميع صورة بعض ميليشياتها المحلية - "كلواء الباقر" - وتقديمها كجهات "وطنية" تقاوم الاحتلال الأمريكي⁶¹ بعد أن نجحت في هزيمة

⁵⁷ تدرك أمريكا على أن إيران مُصرة على عدم مغادرة سورية حتى لو انتهت الحرب، وتريد تحويل تدخّلها المكلف في سورية إلى فرصة لإظهار القوة خارج حدودها، وذلك من خلال جهود التشييع والتغيير الديموغرافي وتهجير المعارضين وإجلال عوائل المقاتلين الشيعة والإيرانيين مكانهم، وقد استغلت واشنطن هذه الرغبة في سياسة صممت على احتواء إيران وتحويل ميليشياتها إلى أداة لمحاربة "داعش" وخاصة في العراق

تقرير: خيارات أمريكا في سورية بحال رفض ميليشيات إيران المغادرة، موقع نداء سورية، تاريخ النشر 2018-10-18، <http://bit.ly/2mAKbW4>

⁵⁸ ما حقيقة الموقف الأمريكي من تمدد إيران في المنطقة؟، موقع عربي 21، تاريخ النشر 2019-1-1، <http://bit.ly/2nIYSqe>

⁵⁹ قامت الولايات المتحدة بغارة جوية بالتعاون مع طيران التحالف استهدفت فيها ميليشيات عسكرية تتبع لإيران عسكرياً كانت قد قامت في وقت سابق بالهجوم على مقر قيادة "قوات سورية الديمقراطية حيث أسفرت الغارة عن مقتل 185 من أصل 500 مقاتل معظمهم من لواء الباقر بالإضافة إلى جنسيات عراقية وأفغانية

" نواف البشير يشيع ابنه الذي قُتل في ديرالزور (فيديو) " ، موقع أورينت نت ، تاريخ النشر 2018-2-19، <http://o-ttv/usD>

⁶⁰ " بعد مصادرتها قبيلة "البكار" .. ميليشيا "الباقر" الشيعة تعلن الحرب على أمريكا في "الجزيرة". موقع أورينت نت ، تاريخ النشر 2018-4-7،

<http://bit.ly/2kABwlo>

⁶¹ طلب اللواء قاسم سليمان قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري الإيراني" ، من قادة الميليشيات التابعة له والموجودة في سورية الاستعداد لحرب محتملة مع الولايات المتحدة الأمريكية، مؤكداً على وجود توافق مع النظام السوري بخصوص مواجهتها

المصدر: " إيران تطلب من مجموعاتها المسلحة في سورية الاستعداد لحرب مع أمريكا، موقع صحيفة الديلي صباح الإلكترونية، تاريخ النشر 2019-7-26،

<http://bit.ly/2mLolcz>

"الجماعات الإرهابية"، في سيناريو مكرر لما قامت به عندما أنشأت مليشيات عراقية مسلحة لمواجهة الغزو الأمريكي للعراق، ثم قامت تلك المليشيات العراقية بالتعاون مع أمريكا – عدوها المفترض - في وقت لاحق وفقاً لمقتضيات المصلحة الإيرانية⁶². ومن ثم استثمار هذا التعاون في شرعنة وجود تلك المليشيات⁶³.

4-2- على المصالح التركية:

شهدت المصالح الإيرانية التركية صداماً في سورية، وذلك عندما دعمت تركيا الثورة السورية بشقها الثوري السلمي والمسلح وطالبت برحيل نظام الأسد، في حين وضعت إيران كل ثقلها وإمكانياتها في الكفة المعاكسة؛ لتضمن بقاء نظام الأسد ولو على حساب الشعب السوري، ضماناً لمصالحها ولشروعها الذي عملت عليها منذ عقود⁶⁴.

وقد ساهمت الثورة السورية في إظهار الوجه الحقيقي للطائفي لإيران ومشروعها الإقليمي، الأمر الذي غير صورتها في الذهن العربي على حساب تحسين صورة تركيا التي قدمت تجربتها الديمقراطية نموذجاً ينحاز لمطالب الشعوب ويدعمها، وهو أمر أقلق إيران التي اعتبرت أن سقوط الأسد سيؤدي إلى زيادة الدور التركي في سورية والمنطقة، بالإضافة إلى تخوفها من امتداد موجة الربيع العربي إلى أراضيها⁶⁵.

ويمكن أن نجمل تأثير مليشيات المشروع الإيراني على تركيا بما يلي:

○ الضغط على تركيا للضغط على فصائل المعارضة:

ورغم تضارب المصالح التركية الإيرانية في القضية السورية حافظت كل من طهران وأنقرة على علاقة دبلوماسية، استغلتها إيران عند الضرورة؛ لتقليل خسائرها على يد قوات المعارضة السورية المسلحة، فمع تكرار حوادث خطف قيادات وعناصر من مليشياتها الإيرانية واللبنانية في سورية، ضغطت إيران على تركيا لتلعب دور الوسيط من أجل ضمان سلامة المخطوفين وترتيب أمور تسليمهم أو المبادلة عليهم⁶⁶.

⁶² ساهمت إيران في تشكيل كتائب "حزب الله" وعصابات أهل الحق العراقيين وجماعات أخرى، إبان الغزو الأمريكي للعراق، حيث رفعت هذه المليشيات شعار مقاومة الاحتلال وقامت بعدد من الهجمات البارزة على قوات التحالف في العراق، بما في ذلك عمليات الاختطاف واستخدام متفجرة متطورة ضد المركبات المدرعة، ثم قاتلت تلك المليشيات (كعصابات أهل الحق، وحركة "النجباء" وكتائب "حزب الله" العراقي) إلى جانب قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في معاركها ضد "داعش" في العراق، بينما أعلن فيلق بدر رفضه للعقوبات الأمريكية على إيران وتأكيد على مساندتها ودعمها، رغم أنه تلقى في وقت سابق تدريبات وأسلحة من الولايات المتحدة وفقاً لما نشرته صحيفة أمريكية

ديلي بيست الاميركية: ميليشيات شيعية مدعومة أميركياً قاتلت تنظيم الدولة في العراق أصبحت اليوم تقاوم بجانب النظام السوري في حلب " موقع قناة الجسر الفضائية، تاريخ النشر 22-2-2016، <http://bit.ly/2kjlz2l>

⁶³ مارست إيران الضغوط على الحكومة العراقية من أجل دمج مليشيات الحشد الشعبي داخل بنية الجيش العراقي بمرسوم وزاري، والسماح لتلك التي رفضت الالتحاق بالقوات المسلحة بالتحويل إلى تنظيمات سياسية، خاضعة لقانون الأحزاب، بشرط ألا تحمل السلاح إلا بإجازة رسمية "الجيش أو السياسة.. مرسوم عراقي يهيكل الحشد الشعبي"، الجزيرة نت، تاريخ النشر 1/7/2019، <http://bit.ly/2m1BUV8>

⁶⁴ دوافع العلاقات الإيرانية التركية وأبعادها، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، تاريخ النشر 7-8-2018، <http://bit.ly/2kqMv0w>

⁶⁵ شنت القنوات الإيرانية الإعلامية هجوماً على تركيا منذ عام 2011 متهمه إياها بالمسؤولية في اندلاع الثورة السورية وتحريض المتظاهرين للخروج على الأسد العلاقة التركية الايرانية في شرق اوسط بات أكثر تغيرا، مركز راند، تاريخ النشر 2013، <http://bit.ly/2m2LTP9>

⁶⁶ سعت إيران بوساطة تركية قطرية لإطلاق سراح 48 مخطوفاً من عناصر من الحرس الثوري، تم الإيقاع بهم بعد خروجهم من مطار دمشق من قبل أحد فصائل الغوطة الشرقية عام 2012، رغم رفض نظام الأسد الانصياع الأولي لمطالب فصائل المعارضة السورية وإطلاق سراح المعتقلين، إلا أن الضغوط الإيرانية أتمت الصفقة التي خرج على إثرها 2126 معتقلاً ومعتقلة و4 أتراك من السجنون السورية.

كما قامت إيران عبر مليشياتها بتوريط تركيا في بعض الصفقات، ودفعها للتدخل والضغط على فصائل المعارضة لإطلاق سراح بعض المخطوفين من قيادات تلك المليشيات، وذلك من خلال تحريك مليشياتها في مناطق أخرى؛ لتقوم بخطف جنود أو مدنيين أترك لإجبارها على دفع مسار المفاوضات والتسريع من عمليات التسليم⁶⁷.

○ تقليص نفوذ تركيا واستهداف مصالحتها الاستراتيجية:

سعت إيران ومن جهة أخرى إلى ضرب المصالح التركية في كل من سورية والعراق من خلال استيلائها على المدن التي تعتبر ذات أهمية استراتيجية عند الحكومة التركية كالموصل وحلب، فحركت مليشياتها ووضعت ثقلها بالكامل لإتمام السيطرة عليهما، حتى أن بعض مليشيات الحشد الشعبي في العراق أعلنت صراحة أنها تتحرك للوقوف في وجه مصالحتها تركيا⁶⁸.

وبالتالي لا ترى إيران حرجاً في استخدام أي وسيلة تخدم مصالحها للضغط على تركيا، حيث يمكن لها أن تحرك مليشياتها في كل من العراق وسورية؛ لاستهداف مصالحتها تركية أو خطف مواطنين أو عناصر من الجيش التركي أو هجمات بطائرات مسيرة مجهولة الهوية؛ لإحراج تركيا وإجبارها على تقديم التنازلات.

المصدر: "صفقة أسري" بين «الحر» والنظام السوري تحرر 48 إيرانياً"، صحيفة الشرق الأوسط، 10-1-2013، <http://bit.ly/2n1k36g>

⁶⁷ تمكن لواء عاصفة الشمال من أسر 9 لبنانيين من قيادات "حزب الله" في الشمال السوري، ورغم أن المفاوضات كانت بوساطة قطرية، إلا أن إيران زجت بتركيا مرة أخرى بشكل مباشر بعد أن حركت أحد حلفائها في لبنان - "حزب الله" - والذي يسيطر على مطار رفيق الحريري ليقوم باحتجاز طيارين تركيين بهدف زيادة الضغط على تركيا وتسريع عملية التفاوض مستغلة توقيت الانتخابات التركية القريبة، وبالتالي تغيرت شروط تسليم صفقة المبادلة و أصبح الطياران التركيان ضمن الصفقة مقابل إطلاق سراح 330 معتقلاً، والتي تم تسريعها نتيجة هجوم مفاجئ ل"داعش" على مقرات عاصفة الشمال.

"عاصفة الشمال.. هذه قصة" صفقة اللبنايين" ودور عبدالقادر صالح"، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر 21-10-2013، <http://bit.ly/2lnz0z9>

⁶⁸ صرح نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، أن مشاركة الحشد الشعبي في معركة الموصل جاء لمنع تحولها إلى قاعدة تركية، في حين صرح جواد الطليباوي المتحدث العسكري باسم مليشيا "عصائب أهل الحق" إحدى مكونات الحشد الشعبي أن مهمة الحشد الشعبي بعد تحرير الموصل وضع حدود للتجاوزات التركية.

المصدر: "إيران ومستقبل المليشيات المسلحة في عراق ما بعد داعش"، مجلة الدراسات الإيرانية - العدد 3 - الصفحة 10، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، حزيران 2017، <http://bit.ly/2n9YLUo>

ثالثاً: مليشيات المشروع الإيراني أداة لتهديد دول الجوار:

لم يقتصر تأثير وجود المليشيات التابعة لإيران في سوريا على تهديده لمصالح الدول المعنية بالقضية السورية فحسب، بل انعكس تأثيرها على دول الجوار أيضاً⁶⁹، حيث تسبب بتهديدات أمنية وسياسية، ورفع إمكانية اندلاع حرب إقليمية بالوكالة يمكن أن تمتد لتشمل العديد من دول الجوار.

ويمكن تحديد تأثير تلك المليشيات على دول الجوار وفقاً لما يلي:

1-3- على الأردن:

تركز مصالح الأردن في وصول سورية إلى حالة من الاستقرار بغض النظر عن الجهة التي تحكم، حيث إنها قد تفضل بقاء نظام الأسد أو التعامل مع دولة على التعامل مع فصائل معارضة، إلا أن الأردن تعتبر أن وجود القوات الحكومية والفيلق الخامس التابع لروسيا لا يعني أنها المسيطرة على الأرض، فعلى الرغم من وجود اتفاقية مع الجانب السوري تنصُّ على إبعاد المليشيات التابعة لإيران عن الحدود الأردنية مسافة 50 كلم، إلا أن تلك المليشيات لا تزال موجودة ولكن بملابس عسكرية سورية، وهي صاحبة الكلمة العليا في المنطقة، وهو ما يهدد استقرار الأردن ويجعلها محل استهداف، ويزيد من إمكانية استغلال تلك المليشيات وخاصة "حزب الله" الأراضي الأردنية لتنفيذ هجمات على "إسرائيل"، أو قيامه بتوسيع نفوذه في منطقة جديدة ونشر التشيع⁷⁰.

ومن جهة أخرى تشير الغارات الإسرائيلية على بعض المواقع قرب الحدود، إلى أن المنطقة ستظل كقنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة، مزعزة أمن الأردن على وجه الخصوص، سواء اندلعت حرب بين إيران و"إسرائيل" على نطاق شامل أو محدود، مما يعني عودة تساقط القذائف والصواريخ على المناطق الحدودية الأردنية، وإمكانية تجدد موجات النزوح وتزايد عمليات التهريب عبر الحدود، وارتفاع احتمال قيام إيران وعملائها بتجنيد خلايا نائمة أو مجموعات مسلحة من اللاجئين السوريين أو الفلسطينيين أو الأردنيين داخل الأردن، مستغلة أوضاعهم الاقتصادية السيئة؛ لشن عمليات عسكرية بالوكالة ضد "إسرائيل" انطلاقاً من الحدود الأردنية⁷¹.

كما أن وجود هذه المليشيات وما عرف عن نشاطاتها في تجارة المخدرات⁷² والسلاح وعمليات التهريب، يعني ارتفاع منسوب التهديد الأمني للأردن، بما يستدعي بذل المزيد من الجهود ونشر المزيد من عناصر الجيش والأمن خوفاً من حدوث أي اختراق.

⁶⁹ لم تعتبر الورقة تركيبة كدولة جوار، وإنما أدرجتها ضمن الأطراف الأساسية والفاعلة في القضية السورية كون تأثيرها فاق تأثير بقية دول الجوار.

⁷⁰ "تواجد مليشيات شيعية بالجانب السوري خطراً على الأردن"، موقع الغد الإلكتروني، تاريخ النشر 23-3-2019، <http://bit.ly/2mtlGZh>.

⁷¹ تتوقف احتمالية تمدد أنشطة التجنيد في الأردن على مكان الأردن ضمن المشروع الاستراتيجي الإيراني، حيث من الوارد جداً وقياساً على سياسة إيران في استخدام أذرعها الإقليمية كعوامل مزعزة للاستقرار في الدول المحسوبة على الغرب كما هو حال الأردن، في سيناريو مشابه لنموذج الحوثي مع السعودية، حيث يمكن لإيران أن تستخدم مليشياتها في سورية كأدوات للضغط على النظام في الأردن على المدى الطويل لتهديد الغرب، وهو ما يمكن أن يفسر إبقاء الولايات المتحدة قاعدتها /55/ في التنف للحد من تأثير هذه المليشيات باتجاه الأردن ودول الخليج.

⁷² أحبطت السلطات الأردنية عمليتي تهريب لكميات كبيرة من الحبوب المخدرة والتي كانت موجهة للأردن عبر معبر نصيب الحدودي، ففي تموز 2019 ضبطت قرابة 2.7 مليون حبة مخدرات، في حين ضبطت في تشرين الثاني 2019 قرابة 270 ألف حبة أخرى.

2-3- على "إسرائيل" 73:

تركز مخاوف "إسرائيل" على تزايد النفوذ الإيراني في سورية وعدم قدرة نظام الأسد على ضبط أو ردع الميليشيات المدعومة إيرانياً، خاصة وأنها لا تخضع لسيطرتة، وهو ما سيهدد أمن "إسرائيل" حتى مع بقاء الأسد، وبالتالي قد تضطر "إسرائيل" لخوض مواجهة مباشرة ووحيدة في ظل التردد الواضح في السياسة الأمريكية، وهو ما دفعها للتحالف مع روسيا، حيث أوكل إلى الأخيرة مهمة تفكيك تلك الميليشيات ودمجها في جيش النظام الخاضع مركزياً لسيطرة الأسد وروسيا⁷⁴.

ورغم التقاء المصالح الإسرائيلية والروسية والأمريكية على ضرورة إبعاد إيران، لم تكتفِ "إسرائيل" بالاعتماد على الآخرين، بل راقبت بدقة تحركات القيادات العسكرية الإيرانية واللبنانية على وجه الخصوص وشحنات الأسلحة ومراكز تصنيعها المستحدثة خطوة بخطوة، وقامت خلال الفترة السابقة بضربات عسكرية دقيقة استهدفت مواقع وقيادات هامة ظهرت بشكل واضح في السنوات الأخيرة⁷⁵، الأمر الذي يرحح النظرية التي تقول إن كلاً من أمريكا و"إسرائيل" أرادا استنزاف إيران عسكرياً واقتصادياً، حيث تُرك لإيران مهمة استرجاع المناطق التي خرجت عن سيطرة الأسد، والزج بقواتها وإمكاناتها في سبيل ذلك، ثم بدأت "إسرائيل" باستهدافها بضربات استباقية حساسة تشير إلى أن مهمة إيران في سورية قد انتهت، وأن عليها الرحيل وفقاً للرؤية الإسرائيلية.

وتندرج السياسة الإسرائيلية في مواجهة إيران و"حزب الله"، اللذين أعادا انتشارهما قرب الحدود الإسرائيلية بما يعرف باسم "الحملة بين الحروب"⁷⁶، والتي تهدف إلى تأخير نشوب الحرب وردع الأعداء وإضعاف قوتهم، بالإضافة إلى ترسيخ شرعية إسرائيلية - داخلية وخارجية- لضربة عسكرية مستقبلية، من خلال فضح الأنشطة العسكرية السرية التي تنتهك القانون الدولي، وبالتالي تأمين الظروف المثلى لـ "الجيش الإسرائيلي" إذا نشبت الحرب في النهاية⁷⁷.

وقد ازداد نشاط تهريب المواد المخدرة من سوريا، مع سيطرة حزب "الله اللبناني"، على الأراضي الحدودية بين سورية ولبنان، إذ يعتمد الحزب على تجارة المخدرات بشكل كبير في تمويل أعماله القتالية

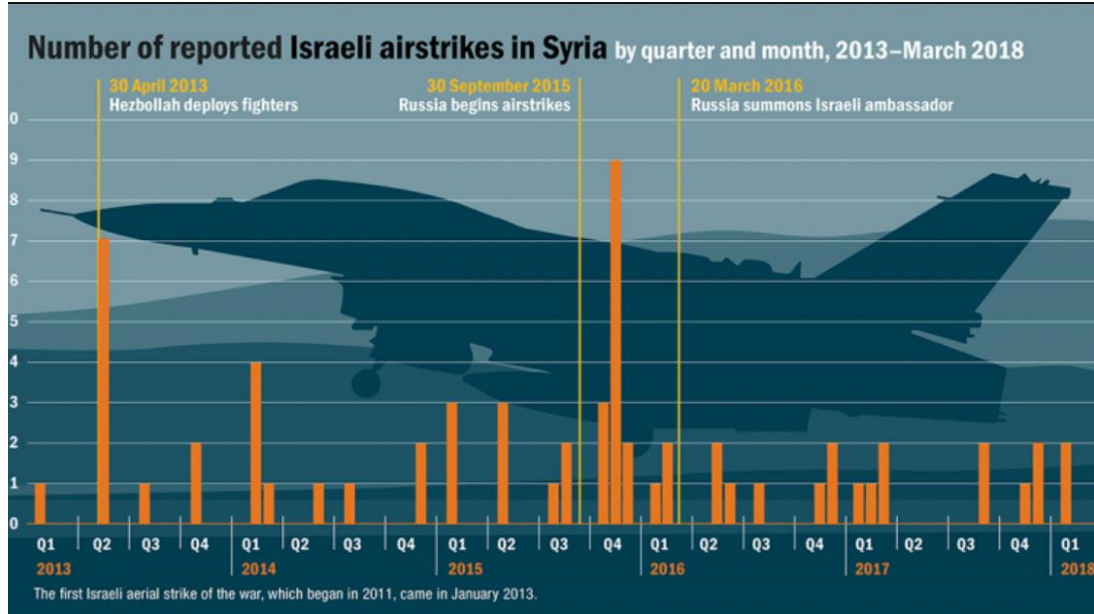
المصدر: الأردن يضبط مليوني حبة "كبتاجون" ضمن شحنة مهربة من سورية، موقع عنب بلدي، تاريخ النشر 2019-12-8، <http://bit.ly/2PNHbRW>
⁷³ على الرغم من كل الإيعاءات والتصريحات الإعلامية التي تشير إلى عداة ظاهري بين "المشروع الإيراني" و"المشروع الإسرائيلي" في المنطقة، إلا أن معظم السوريين يعتقدون أن هذا العداة المعلن ما هو إلا ستار لتفاهات تحت الطاولة بين المشروعين، بهدف إضعاف شعوب المنطقة والحيلولة دون قيام أي مشروع عربي "سني"، فحتى لو تضاربت المصالح بين المشروعين في فترة ما أو تحولت إلى مواجهات، يمكن اعتبار هذه المواجهات بمثابة أدوات ضغط من أجل إقرار تفاهات جديدة وموازات بين الطرفين للوقوف في وجه عدوهم المشترك.

⁷⁴ ستة سيناريوهات لمستقبل الميليشيات الموالية للنظام في مرحلة ما بعد الحرب، معهد هولندا للعلاقات الدولية، ترجمة المرصد الاستراتيجي، تاريخ النشر آذار 2019، <http://bit.ly/2kYyCqC>

⁷⁵ أعلن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي غادي إيزنكوت أن "إسرائيل" أطلقت نحو 2000 صاروخ وقنبلة موجهة على سورية خلال عام 2018 فقط، المصدر: "المواجهة العسكرية الإسرائيلية للخطر الإيراني في سورية.. دوافع واحتمالات" المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، تاريخ النشر 2019-1-27، <http://bit.ly/33rjSAR>

⁷⁶ يقصد بمصطلح الحملة بين الحروب مجموعة عمليات دفاعية مناطقية تستند إلى معلومات استخباراتية عالية تستغل أوقات الهدوء لتخفيض حدة التهديدات، كإغتيال بعض الشخصيات أو استهداف بعض شحنات الأسلحة.

⁷⁷ "الحملة بين الحروب": كيف أعادت إسرائيل رسم استراتيجيتها للتصدي للنفوذ الإيراني الخبيث في المنطقة"، غادي إيزنكوت وغايي سيبوني، معهد واشنطن للدراسات، تاريخ النشر 4 أيلول/ 2019، <http://bit.ly/2kx3Qow>



عدد الضربات الإسرائيلية على سورية بين عامي 2013-2017⁷⁸

وتعتبر "إسرائيل" أن ضرب إيران في سورية هي الوسيلة الأجدى من ضربها في إيران، خاصة وأن إيران ومليشياتها يقاتلون خارج أرضهم وسط الكثير من الأعداء، كما أن هذه الضربات العسكرية يمكن أن تُستثمر في "إسرائيل" على الصعيد الداخلي والسياسي؛ للتغطية على بعض قضايا الفساد واكتساب شعبية يمكن استثمارها في الانتخابات الإسرائيلية، إلا أن "إسرائيل" تعي تماماً أن هذه الضربات الجوية لن تؤدي إلى طرد إيران من سورية، وإنما إضعافها وإجبارها على تقديم تنازلات خلال المفاوضات⁷⁹.

وبالنظر إلى عدد وطبيعة الضربات العسكرية التي قامت بها "إسرائيل"، لا توجد بوادر تشير إلى قرب مواجهة عسكرية بين الطرفين، رغم استفزازات إيران المتكررة، وإسقاط طائرة إسرائيلية في شباط 2018، حيث تدرك "إسرائيل" أن دخولها في مواجهة عسكرية مع إيران وحلفائها في المنطقة لن يكون كالمواجهات السابقة عام 2006، خاصة مع امتلاك "حزب الله" خبرة عسكرية قتالية أكبر وصواريخ طويلة المدى يمكنها أن تهدد العمق الإسرائيلي من جبهتي لبنان وسورية، ووجود مليشيات شيعية حليفة في سورية يمكن أن تدخل على خط المواجهة، وبالتالي ستكون "إسرائيل" مضطرة إلى مواجهة تنتهي بنصر حاسم في ساحة المعركة، وليس فقط مجرد ضربات تدمر البنية التحتية لـ "حزب الله" والمليشيات التابعة لإيران في المنطقة، الأمر الذي قد يوسع دائرة الصراع العسكري، ويجر المنطقة إلى حرب إقليمية خاصة مع وجود قوات روسية وأمريكية في سورية⁸⁰.

ومن جهة أخرى تشير عمليات إعادة الانتشار التي نفذتها إيران وحزب الله قرب الحدود الجنوبية، وتمركزها في قواعد عسكرية وتجنيداً للعديد من المجموعات المحلية⁸¹، إلى أن مليشيا "حزب الله"

⁷⁸ <http://bit.ly/2OpCvfk>. Crisis Group. Golan Heights and South/West Syria

⁷⁹ , Israel- Iran Escalation in Syria: The Risks of War, fanack center, 21-6-2018, <http://bit.ly/2ojBfox>

⁸⁰ Israel Prepares to Take on Iran and Hezbollah in Syria, by Richard C. Baffa, 11-2-2018, <http://bit.ly/2mB9Yxn>

⁸¹ للمزيد راجع فقرة "القواعد العسكرية ومناطق الانتشار" في الورقة الثانية من هذه السلسلة

تسعى إلى بناء نسخة محلية تابعة لها في سورية، فيما لو اضطرت للاستجابة للضغوط الدولية والانسحاب من المنطقة، حيث ستكون تلك الميليشيات المحلية ذراع كل من إيران و"حزب الله" العسكري الذي يمكن من خلاله تهديد الحدود الإسرائيلية من الطرف السوري مستقبلاً، إلا أن هذه الجهود لبناء امتدادات محلية عسكرية لـ"حزب الله" لا تزال في بداياتها، ولا يمكن الحكم على إمكانية نجاحها، خاصة وأن البعد الطائفي والأيدولوجي غير موجود في الجنوب السوري كما في الجنوب اللبناني، وهو ما يفسر محاولات إيران تكثيف أنشطة التشيع تحت ستار العمل المدني، إلا أنه يمكن أن يحقق نجاحات على المستوى البعيد.

وبالتالي حتى لو انسحبت مليشيات المشروع الإيراني من سورية استجابة للضغوط الدولية، ستبقى الامتدادات المحلية لتلك الميليشيات ورقة ضغط وتهديد بيد إيران، يمكن أن تحركها أو تستخدمها لضرب "إسرائيل" لتحقيق مصالح لها في ملفات أخرى، أو تخفيف الضغوطات الدولية عليها.

3-3- على العراق:

حقق وجود الميليشيات العراقية المدعومة من إيران في سورية المزيد من النفوذ والدور للمليشيات "الحشد الشعبي" العراقية التي قُدمت للعالم، وكأنها صمام أمان في وجه التنظيمات الإرهابية كـ"داعش"، وسمح لها بتلقي الدعم العلني والانتشار داخل الأراضي العراقية وخارجها بشكل قوات شبه نظامية عابرة للحدود، بشكل ضخم وزنها ودورها داخل العراق، وسمح لها باختراق دوائر القرار السياسي والتأثير فيه على حساب المكونات الأخرى من "سنة" و"أكراد".

وقد ساهم الدور العسكري الذي لعبته مليشيات "الحشد الشعبي" في سورية بزيادة عدد أفرادها، بتجنيد المزيد من السوريين، بالإضافة إلى حصولها على مصادر تمويل أكبر من خلال تحكمها بعمليات التهريب بين كل من سورية والعراق من جهة، وبين مناطق نفوذها في شرق سورية ومناطق سيطرة "وحدات الحماية الكردية" من جهة أخرى، كما سمح لها بلعب دور أمني يعتبر من مهام القوات الحكومية، وذلك عندما نشرت قواتها بشكل كثيف على طرفي المنطقة الحدودية العراقية السورية؛ بحجة حماية أمن العراق من أي اختراق لعناصر "داعش" من سورية⁸².

وتشير الأنشطة التشيعية التي تقوم بها هذه الميليشيات في المحافظات الشرقية على أنها قادرة على توسيع مجالات نفوذها وسيطرتها خارج الحدود في مناطق تغلب عليها الصبغة العشائرية، وبالتالي فإن تحويل المنطقة الشرقية في سورية للمذهب الشيعي يعني تفكيك الارتباط العشائري بين القبائل السنية المتداخلة بين سورية والعراق، وإضعاف العشائر السنية في العراق، وهو أمر لا يتوقع أن تجني ثماره في المستقبل القريب، وإنما في الأجيال القادمة، وذلك لأن أغلب من تجاوب مع أنشطة التشيع لم تكن

⁸² المصدر: "إيران ومستقبل الميليشيات المسلحة في عراق ما بعد داعش"، مجلة الدراسات الإيرانية - العدد 3، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، حزيران 2017، <http://bit.ly/2n9YLUo>

استجابته نتيجة قناعة وعقيدة، وإنما نتيجة تخوفات أمنية ورغبة في المحافظة على مصالحه والاحتماء من أي عمليات انتقامية⁸³.

ومن جهة أخرى سيطرت تلك المليشيات على عمليات التهريب التجارية من العراق لسورية والتي قدرت عائداً في شهر واحد بما يزيد عن 5 ملايين دولار عبر الحدود، حيث أصبحت سورية سوقاً لتصريف البضائع المسروقة من العراق، كمادة البنزين والغاز المنزلي، ومحولات الكهرباء وأسلاكها وأغطية شبكات صرف صحي، وصولاً إلى أدوية مجانية أو المدعومة من الحكومة العراقية التي من المفترض أن توزع عبر المراكز الصحية والمستشفيات، حيث يتم نقل البضائع عبر فتحات في الأسلاك الشائكة والسواتر الترابية تعرف بـ "الكسارات"⁸⁴.

كما تشرف تلك المليشيات على نقل الأسلحة والذخائر ومعدات الاتصال والمحروقات اللازمة للعمليات العسكرية والملابس العسكرية من العراق نحو سورية، بالتعاون والتنسيق بين المليشيات على الطرف العراقي ونظيراتها على الطرف السوري، عبر طرق عسكرية وباستخدام سيارات مدنية وعسكرية، وتقوم بتفريغها في مناطق عسكرية تحوي مستودعات خاصة؛ خوفاً من استهدافها بغارات إسرائيلية⁸⁵.

وتصب كل هذه الأنشطة التجارية أو العسكرية وحتى الاجتماعية في مصلحة مليشيات "الحشد الشعبي" في العراق، والتي تنامي نفوذها الاقتصادي والعسكري بشكل جعلها أكثر قدرة على التحكم بالقرار العراقي وجعله أكثر ارتهاً للمصالح الإيرانية، وبالتالي لا يمكن للعراق والعراقيين استعادة القرار الوطني دون فك ارتباط تلك المليشيات بإيران وإخضاعها لسلطة الدولة المستقلة، وهو أمر مستبعد حالياً ويشير إلى ارتفاع احتمالية تحول العراق مجدداً لساحة صراع إقليمي لضرب إيران - على غرار سورية- وإن كان بدرجة أقل.

4-3- على لبنان:

لا يختلف تأثير وجود مليشيات المشروع الإيراني في سورية على واقع لبنان عن الحالة العراقية، بل على العكس عززت مشاركة مليشيا "حزب الله" اللبناني في سورية علاقاته مع حلفائه الإقليميين في كل من سورية والعراق، ومكنته من توسيع شبكة نفوذه وزيادة أعداده ونشاطاته غير المشروع، وهو ما أعطاه مساحة تأثير أوسع في لبنان على حساب بقية الفقاء بشكل يسمح له باختطاف القرار الوطني اللبناني.

⁸³ تستغل حملات التشيع الوضع الاقتصادي المتردي للمدنيين. من خلال توزيع مخصصات مالية شهرية لكل عائلة تعتنق المذهب الشيعي. ومساعدات غذائية وعينية تقدم بشكل دوري لهم، كما تحاول المليشيات الإيرانية اللعب على العامل الأمني، لدفع المدنيين للانضمام إلى صفوفها، من أجل الحفاظ على حياتهم وعدم تعرضهم للاعتقال من قبلها.

إيران تنشر التشيع في ديرالزور، موقع المدن، تاريخ النشر 2018-2-7، <http://bit.ly/35NBBEp>

⁸⁴ "الكسارات": هي المكان الذي يتم فيه عبور الشاحنات عبر إحداه فتحة بالأسلاك الشائكة الفاصلة بين البلدين وسواتر ترابية وضعت بدل القديمة التي جرفها داعش عام 2014، ومن أبرز المليشيات المتورطة في إدارة عمليات التهريب كتائب حزب الله العراقية، ومليشيا لواء الطفوف، ومليشيا سيد الشهداء، ومليشيا النجباء، حيث يقوم بعضها بتجارة المواد المهربة لصالحه بشكل مباشر، بينما تقوم مليشيات أخرى بتأمين نقل البضائع المهربة بين البلدين مقابل مبالغ مالية تتراوح بين 500 و3500 دولار عن الشاحنة

بزنس "المليشيات: ملايين الدولارات من التهريب بين العراق وسورية، العربي الجديد، تاريخ النشر 2019-8-8، <http://bit.ly/2rj1ayh>

⁸⁵ شبكة تكشف الطريق الذي تسلكه المليشيات الإيرانية لإدخال السلاح إلى سوريا، أورينت نت، تاريخ النشر 2019-9-29، <http://o-tv/Cy7>

فقد استفاد "حزب الله" من ذريعة محاربة الإرهاب في التخلص من بعض خصومه على الأرض، خاصة عندما شن عمليات عسكرية على بلدة عرسال "السنية" وجرودها بحجة مكافحة الجماعات المتطرفة، فبسط سيطرته غير المحدودة على الحدود اللبنانية - السورية، وأمن خطوط إمداده، واستغل تلك المعارك لتحسين صورته شعبياً - حتى بين الطوائف المسيحية- بكونه القوة الحامية للبنان من أي فكر "متطرف"⁸⁶.

كما استغل "حزب الله" في حملته تلك اللاجئين السوريين، فقام بحملات أمنية زجت بالمتنات منهم في السجون، قتل بعضهم تحت التعذيب وسلم آخرين للنظام السوري⁸⁷، وبالتالي ووط "حزب الله" لبنان والمؤسسة العسكرية بالقضية السورية، وساهم في تأجيج النفس الطائفي في لبنان؛ كون معظم اللاجئين السوريين يقيمون في عرسال، وتربطهم مع أهلها روابط نسب وصدقة وعمل.

وبالتالي أصبح "حزب الله" في لبنان أكثر قوةً ونفوذاً من السابق، وزاد حجم توغله في مفاصل السلطة، وباتت فكرة إضعافه أو تحجيم قوته أصعب، فعدا عن مجالات الخبرة القتالية والدعم الذي اكتسبه في السنوات اللاحقة، بات "حزب الله" -وبالتجربة- الذراع الأكثر نجاعة لإيران في تحقيق مشروعها في المنطقة، ولم يكتفِ بالهيمنة على القرار في لبنان بل حوله إلى أداة لخدمة مصالح إيران الاستراتيجية، وبالتالي لن تفرط إيران في تقديم أي دعم لوجود "حزب الله" سواء في سورية أو لبنان، بل على العكس يمكن لها أن تحشد قوتها ودعمها ومليشياتها مجدداً، كما فعلت مع نظام الأسد لمواجهة أي خطر محتمل يهدده، ولو أدى ذلك إلى خراب لبنان وتدميرها وفق نفس السيناريو السوري⁸⁸.

⁸⁶ "معركة" جروود عرسال". ما أهداف المليشيات اللبنانية؟، موقع نون بوست، تاريخ النشر 25 حزيران 2017، <http://bit.ly/2Vdp8W4>.

⁸⁷ " جرائم جديدة ترتكبها مليشيات حزب الله بحق اللاجئين السوريين في لبنان "، موقع الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، تاريخه النشر 13-11-2018،

<http://bit.ly/2XTXE9G>

⁸⁸ للمزيد، راجع فقرة تقييم لتجربة "حزب الله" العسكرية في سوريا، في التقرير الأول من هذه السلسلة

رابعاً: مليشيات المشروع الإيراني وأثرها على دول الخليج:

استطاعت إيران خلال السنوات الماضية، أن تحقق مكاسب إقليمية كبيرة بتكلفة مادية وزمنية محدودة، ففككت وأضعفت العديد من الدول في محيطها، مستغلة الصراعات التي حدثت في المنطقة في كل من أفغانستان والعراق ولبنان وسورية، وغدت متحكمة في تلك الدول من خلال المستشارين ومن خلال دعم كيانات سياسية، وتسليح جماعات محلية تنتمي لمشروعها، باتت تتنافس فيما بينها على تقديم الولاء لإيران، عدا عن هيمنتها على مفاصل الاقتصاد والسياسة في تلك الدول، وهو ما مكن إيران من اختطاف القرار السياسي المحلي ورهنه لصالحها⁸⁹.

وتملك إيران حالياً أذرع عسكرية إقليمية في دول المنطقة يصل تعدادها إلى 200 ألف مقاتل⁹⁰، تم تدريبهم وتزويدهم بالمعدات والأسلحة، وشحنهم طائفيًا وعدائياً ضد دول الجوار، ما جعل إيران تهديداً حقيقياً للأمن القومي لمنطقة الشرق الأوسط وخاصة الخليج العربي، وملكها القدرة على افتعال صراعات داخلية تخدم مصالحها، فقدرة إيران على تجنيد خلايا ومليشيات، تتبع لها بشكل مباشر أو غير مباشر، سهّل عليها استهداف أعدائها أو جيرانها، وجعل من الصعوبة بمكان توجيه الاتهام بضلوعها المباشر وراء هذا الاستهداف، كما جعل كلفة هذا الاستهداف منخفضة نسبياً بالنسبة لها؛ لأنها تستخدم فيها جماعات غير إيرانية خارج حدودها⁹¹.

فعلى سبيل المثال، استخدمت إيران المليشيات الشيعية العراقية بفعالية للضغط على قطر – التي كانت تدعم فصائل المعارضة في سورية في وقت سابق – من أجل تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية في سورية، وخاصة عندما قامت كتائب "حزب الله" العراقي باختطاف صيادين قطريين في الصحراء العراقية، واستخدمت المخطوفين - كما في حالة تركيا- كأوراق ضغط لإتمام أخطر اتفاقيات التهجير الديمغرافي (اتفاقية المدن الأربعة)⁹².

كما سعت إيران عبر مليشياتها العراقية لإنشاء معسكرات تدريبية خاصة ضمت مقاتلين من الخليج العربي، حيث أقامت في العراق ما يعرف باسم معسكر البقيع ومعسكر النجف الذي يضم قرابة 500 عنصر من المليشيات بينهم كويتيون وبحرينيون ويعرفون باسم أحرار المنامة⁹³.

ومن الملاحظ أن إيران بدأت باستخدام أوراق قوتها في المنطقة والمتمثلة بمليشياتها "الشيعية": لمواجهة عواقب الانسحاب من الاتفاق النووي الأمريكي الإيراني، وما تلاه من عقوبات اقتصادية قاسية أرهقت الاقتصاد الإيراني وزادت من حدة مشاكله الداخلية، حيث تسعى إيران إلى الضغط باتجاه فكّ العزلة

⁸⁹ النفوذ الإيراني في المنطقة العربية بعد سقوط حلب | الافاق والحدود، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، تاريخ النشر 2016-12-16، <http://bit.ly/2kXJ3dZ>

⁹⁰ "الحرس الثوري يعترف بوجود 200 ألف مقاتل خارج إيران" قناة سكاى نيوز، تاريخ لنشر 2016-1-16، <http://bit.ly/2R8lr3b>

⁹¹ Iran's Network of Fighters in the Middle East Aren't Always Loyal to Iran, by Becca Wasser and Ariane M. Tabatabai, Rand blog, 21-5-2019، <http://bit.ly/2m6iP9W>

⁹² إيران ومستقبل المليشيات المسلحة في عراق ما بعد داعش، مجلة الدراسات الإيرانية - العدد 3، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، حزيران 2017، <http://bit.ly/2n9YLUo>

⁹³ المصدر السابق

الإقليمية عنها، ودفع الولايات المتحدة إلى الجلوس معها على طاولة المفاوضات من خلال تهديد دول الجوار، للعب على ورقة الاستقرار الأمني الإقليمي والاقتصادي، فبدأت بتحريك مليشياتها في كل من سورية واليمن، والقيام بعمليات تستفز حلفاء أمريكا في المنطقة كـ"إسرائيل" والسعودية، حيث قوبلت الاستفزازات الإسرائيلية برد عسكري موجه، مما دفعها للتركيز على استهداف السعودية ومنشآتها النفطية والسفن التي تتحرك في الخليج العربي عبر مليشيات الحوثي "الشيعة" المدعومة من إيران بالمال والعتاد.⁹⁴

ويرى بعض المحللين أن إيران لا تريد جر المنطقة لمواجهة عسكرية بقدر ما تريد الضغط السياسي والتلويح بأوراق القوة التي تملكها، خاصة وأنها اكتسبت خبرة في استغلال الحدّ الفاصل بين الحرب والسلم الذي حدده الولايات المتحدة، والذي لا يسمح لأمبركا بالقيام بعمليات عسكرية مباشرة⁹⁵، بينما يعتقد آخرون أن تكرار هذه الاستفزازات على السعودية تحديداً، يدل على أن إيران تسعى للبحث عن مخرج سريع من الاختناق الخطير الذي تعاني منه بفعل العقوبات الأميركية القاسية، والتي لم يسبق أن استخدمتها الولايات المتحدة من قبل، الأمر الذي قد يرجح تصعيداً إيرانياً عبر مليشياتها العسكرية العابرة للحدود أكبر في حال لم تحقق إيران غايتها، ويدفعها إلى خطوات متهورة يمكن أن تشعل فتيل حرب إقليمية في المنطقة من الصعب التحكم فيها⁹⁶.

⁹⁴ "إيران والخليج... هل انتهت اللعبة؟"، موقع الإندبندنت بالعربي، تاريخ النشر 29-9-2019، <http://bit.ly/2n1PZb1>

⁹⁵ تدرك إيران بدقة تفاصيل الوضع الداخلي الأمريكي وأولويات الرئيس الذي يتجهز لخوض سياق انتخابي، وسبق له وتعهده أمام ناخبيه بعدم جر بلاده إلى أية مواجهات عسكرية خارجية، ولذلك لجأت إلى سياسة عض الأصابع، وزيادة الضغط إلى أقصى مراحل من أجل الوصول إلى مرحلة المفاوضات كلاعاب أساسي في المنطقة يملك القدرة على خلط الأوراق وإعادة توزيعها بما يخدم مصالحه

المصدر: اعتداءات إيران تتصاعد.. أسباب تمنع الولايات المتحدة من إعلان الحرب"، موقع قناة الحرة، تاريخ النشر 16-9-2019،

<https://arbne.ws/2nLpAP0>

⁹⁶ "دور الحوثيين في السياسة الإيرانية لتشبيك الملفات"، موقع الإندبندنت بالعربي، تاريخ النشر 14-6-2019، <http://bit.ly/2nQt4iW>

خامساً: بين مليشيات المشروع الإيراني وتنظيمات الغلو الإرهابية كـ "داعش"!

نجحت إيران تاريخياً في توظيف جماعات الغلو المصنفة على قوائم عالمية للإرهاب لخدمة مصالحها، فقد أكدت وثائق حصلت عليها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من المجمع الذي داهمته في باكستان، وجود علاقة تعاون بين إيران وتنظيم «القاعدة» خلال سنوات سابقة، كان هدفه تمكين "القاعدة" من أجل خدمة السياسات الخارجية الإيرانية ضد الولايات المتحدة، حيث كانت إيران الممر الرئيسي لدخول الأموال والأفراد والمراسلات لتنظيم القاعدة، إلى جانب قيام "حزب الله" بتدريب عناصر من «القاعدة» في معسكراته، وتزويدهم بخبرات تقنية لتنفيذ تفجيرات⁹⁷.

ويرى البعض أن ممارسات إيران ومليشياتها في العراق كانت السبب وراء ظهور تنظيم "داعش" كفرع متشدد من تنظيم «القاعدة» وانتقاله إلى سورية، وخاصة مع وجود العديد من الاتهامات لإيران بأنها ساهمت في تقوية هذا التنظيم، عندما أوعزت للجيش العراقي الذي تملك سطوة كبيرة عليه بالانسحاب عام 2014 تاركاً خلفه الكثير من العتاد والعدة المتطورة، فضلاً عن أموال المصارف البنكية والتي استولى عليها "داعش"؛ ليصبح بين يوم وليلة تنظيمًا قويًا على المستويين العسكري والمالي، وهو ما استغلته إيران كذريعة تبرر تدخلها اللاحق في كل من العراق وسورية وإعطائها الشرعية الدولية في ملف "مكافحة الإرهاب"، وساعدها أيضاً على تحويل المليشيات التابعة لها في العراق إلى مكون نظامي عراقي عرف بـ"الحشد الشيعي"، وبات أمر تنظيمه ودعمه بالمال والسلاح قانونياً⁹⁸.

كما سوّقت إيران لفكرة "الحرب الطائفية" في المنطقة، ولعبت على وتر "المظلومية الشيعية"، عندما سمحت بوقوع تفجيرات في المراقد المقدسة في العراق⁹⁹؛ لاستمالة الشيعة في أفغانستان وباكستان ودولاً أخرى لقتال التنظيم، رغم أنها ووفقاً لعدد من الأدلة ساهمت في دعم تنظيم "داعش"، فقد عثر مع بعض قتلى التنظيم على جوازات سفر تحمل تأشيرات إيرانية، كما قام عناصر "حزب الله" اللبناني بإجلاء مسلحي التنظيم خلال عمليات جرود عرسال ونقلهم إلى دير الزور¹⁰⁰.

⁹⁷ من دراسة مطولة أعدها مركز نيو أميركا في واشنطن، حملت عنوان " طهران في حلف مع الشيطان لإعادة بناء القاعدة"، استندت إلى 300 وثيقة سرية المصدر: " تقرير أميركي: 300 وثيقة تؤكد وجود علاقة تعاون بين «القاعدة» وطهران " صحيفة الشرق الأوسط، تاريخ النشر 9-9-2019، <http://bit.ly/2IUeBXR>

⁹⁸ " علاقات مشبوهة.. دلالات توظيف إيران لـ«داعش» في سورية والعراق، موقع المرجع للدراسات البحثية والاستشرافية، تاريخ النشر 15-11-2018، <http://bit.ly/2m3DDOz>

⁹⁹ كشف جهاز الأمن الوطني العراقي عن أدلة تشير إلى مسؤولية مليشيا "عصائب أهل الحق" العراقية المدعومة من إيران، بزعامة قيس الخزعلي، بالتفجيرات التي استهدفت أحياء شيعية في العاصمة بغداد عام 2013، وذلك في محاولة من طهران ودمشق لتثبيت فكرة الحرب الطائفية الإقليمية الواسعة وانتقال الحريق السوري إلى العراق ولبنان - من أجل تشكيل ضغط متزايد على الغرب لدعم تسوية سياسية تسمح للأسد بالبقاء في السلطة، تسمح بالتأثير على اجتماعات "جنيف 2"

كما كشفت مصادر مقربة من كتلة الصدر تورط مليشيا أبو الفضل العباس في تفجير الكرادة 2016، والهجوم على مرقد السيد محمد في محافظة صلاح الدين."

المصدر: " الخزعلي يفجر بغداد انتقاماً من الصدر وحماية لنظام الأسد"، موقع البينة، تاريخ النشر 29-5-2013، <http://bit.ly/2MgCzL6>

الحرب الطائفية تطرق أبواب العراق: خدمات "داعش" واستفادة المليشيات، موقع العربي الجديد، تاريخ النشر 10-7-2016، <http://bit.ly/35MpaJ7>

¹⁰⁰ إيران وداعش.. علاقة تفضحها الوثائق والوقائع، موقع رؤية، تاريخ النشر 29-11-2019، <http://bit.ly/2mbDWaL>

وعلى الرغم من أن كلاً من "داعش" والمليشيات "الشيعة" التابعة لإيران، يظهران على طرفي نقيض من حيث التوجه المذهبي، إلا أنهما يشتركان في عدد من النقاط أهمها أن كلا الطرفين يتبنيان "الشعارات الإسلامية التعبوية" للوصول إلى "مشروعهم" السياسي، ويتخذان جميع الوسائل والأدوات غير المشروعة سبيلاً لتحقيق هذا الهدف كالقتل والنهب والتدمير والتهجير القسري وانتهاك حقوق الإنسان، فالممارسات التي يراها المجتمع على أنها جرائم يقدمها الطرفان بكونها "جهاداً" في سبيل الله¹⁰¹.

إلا أن خطورة المليشيات التابعة للمشروع الإيراني تفوق عند البعض خطورة "داعش" -دون التقليل من خطورة تنظيمات كداعش وغيرها من جماعات الغلو المصنفة كجماعات إرهابية على أصل وجود الكتلة المجتمعية الأوسع انتشاراً في المنطقة وثقافتها ومستقبلها- من حيث الإمكانيات والأعداد والأطراف الداعمة لها، وذلك للأسباب التالية¹⁰²:

- 1- في الوقت الذي لم تحصل فيه "داعش" على دعم سياسي أو عسكري من أي جهة دولية أو إقليمية، بل كانت منبوذة ومحاصرة من المجتمع الدولي برمته، حصلت مليشيات المشروع الإيراني على دعم وتأييد سياسي وعسكري من أكثر من دولة ونظام في المنطقة.
- 2- وقفت المرجعيات الإسلامية "السنية" المعتدلة في وجه خطاب "داعش" التكفيري، وأدانت كل الجرائم التي ارتكبتها هذا التنظيم تحت ستار تطبيق الشريعة¹⁰³، ولم تكتف بذلك بل أقامت العديد من المشاريع لمواجهة فكر الغلو والتصدي لطروحاته المنتشرة بين العامة، بينما حظيت المليشيات "الشيعة" بدعم ومباركة المرجعيات الشيعية التي غضت النظر عن الجرائم والانتهاكات التي ارتكبتها تلك المليشيات، وروجت لها وشجعت الشباب للانضمام إلى صفوفها¹⁰⁴.
- 3- استطاعت إيران تجنيد ما يقارب 200 ألف مقاتل من جنسيات مختلفة خلال فترة زمنية بسيطة، وقامت بتسليحهم وزجت بهم في المعارك، تحت غطاء جوي من قبل الطيران الروسي أو من طيران التحالف، بينما لم تتجاوز أعداد المنتسبين لتنظيم "داعش" 40 ألف مقاتل¹⁰⁵، اقتصر أسلحتهم على الأسلحة المتوسطة وبعض الأسلحة الثقيلة دون وجود أي دعم جوي.
- 4- استطاعت مليشيات المشروع الإيراني استغلال الظروف الداخلية للدول التي نشأت فيها؛ لتتحول إلى دولة داخل دولة، أو حتى تحل محل الدولة ذاتها.

¹⁰¹ "المليشيات الشيعية وداعش في ميزان الإرهاب.. من الأخطر؟"، موقع كردستان 24، تاريخ النشر 4-2-2017، <http://bit.ly/2md9NYA>

¹⁰² المصدر السابق، وتحليلات إضافية لفريق البحث.

¹⁰³ "فتوى المجلس الإسلامي السوري حول دولة العراق والشام (داعش)"، رابطة العلماء السوريين، تاريخ النشر 16-6-2014، <http://bit.ly/39eFch3>

بيان بشأن جبهة النصرة (فتح الشام)، موقع المجلس الإسلامي السوري 24-1-2017، <https://sy-sic.com/?p=3948>

¹⁰⁴ تشير الوقائع على الأرض أن المرجعية الدينية الشيعية ارتهنت في معظمها للمرجعية الإيرانية، فقد قوبلت فتوى السيستاني الذي يأتمر بأمره معظم شيعة العراق والتي رفض فيها إجازة المشاركة في حرب يراها سياسية وليست دينية في سورية بالاستنكار الشديد وتم الضغط عليه لاحقاً فاضطر إلى إرسال بعض القوات التي تتبع له، ثم إصدار فتوى لاحقة بوجوب الانضمام لقوات الحشد الشعبي لمحاربة داعش

المصدر: "القتال في سورية. مليشيات عراقية تضرب بفتوى "السيستاني" عرض الحائط وتفضل فتوى خامنئي!" موقع زمن الوصل نقلاً عن رويترز، تاريخ النشر 21-7-2013، <http://bit.ly/2StR8FH>

¹⁰⁵ "الروس بالمركز الأول - مقاتلو "داعش" الأجانب بالأرقام" موقع قناة DW بالعربية، تاريخ النشر 17-10-2017، <http://bit.ly/2EYNPP2>

5- في الوقت الذي لم يتمكن "داعش" من تسخير الإعلام إلا من خلال بعض مواقع الإنترنت، امتلكت مليشيات إيران ماكينات إعلامية ضخمة في أربع دول (إيران-العراق-سورية – اليمن – لبنان) عملت على تسويق أفكارها ووجهة نظرها للشارع من خلال شيطنة وجهة النظر المقابلة¹⁰⁶.

6- تؤمن هذه المليشيات بعقيدة ظهور "المهدي" وتتبنائها في إستراتيجيتها العسكرية، فظهور الإمام المهدي حسب معتقداتهم لا يكون إلا بعد أن تمتلئ الأرض جوراً وظلماً وتتخفن فيها الدماء، وبالتالي تصبح إشاعة القتل والدمار في المنطقة هو عمل مشروع مقدس طالما سيعجل من ظهور إمامهم.

وبالعودة إلى الحالة السورية، أظهرت معارك تدمر مثلاً واضحاً عن الأدوار المتبادلة التي لعبها "داعش" من جهة وقوات الأسد ومليشيات المشروع الإيراني من جهة أخرى، حيث إن استيلاء "داعش" على مدينة تدمر وما سبقه تحركات لقوات الأسد والمليشيات الموجودة هناك¹⁰⁷، ثم معارك التحرير المزعومة وما عقبها من انتهاكات قامت بها تلك المليشيات¹⁰⁸، تشير إلى وجود تنسيق مسبق ومرسوم بين الطرفين.

وبالتالي يمكن لإيران ومليشياتها أن تستثمر في "داعش" مرة أخرى أو في بدائل أخرى لتنظيم "داعش" لمواجهة الضغوط الدولية، وهو ما يمكن ملاحظته بمعاودة "داعش" نشاطها في كل من سورية والعراق، عقب توتر العلاقات بين واشنطن وطهران على خلفية الانسحاب من الاتفاقية النووية واستئناف العقوبات الأمريكية، بشكل يوحي بأن النظام الإيراني أراد أن يبعث برسالة قوية إلى العالم وإلى أمريكا، مفادها أن إرهاب "داعش" لا يمكن القضاء عليه إلا بالتعاون مع إيران¹⁰⁹.

¹⁰⁶ يمتلك الحشد الشعبي في العراق مايزيد عن 32 قناة فضائية، بعضها يتبع له إدارياً بشكل مباشر وبعضها يحسب عليه ، مهمتها تلميع صورته والترويج لأخباره ولرجالاته

¹⁰⁷ على الرغم من ورود أخبار مؤكدة لقيادات في جيش الأسد حول نية "داعش" الهجوم على المدينة لم تتحرك قوات الأسد ولا المليشيات الداعمة لها ولم تقم بأي استعداد، بل على العكس انسحبت قوات الأسد بشكل مباشر من مدينة السخنة، كما انسحبت جميع العناصر الإيرانية والمليشيات الأجنبية من تدمر قبل أسبوعين من الهجوم ، ووردت بعض الشهادات التي تشير إلى وجود أوامر بانسحاب لقوات الأسد فور هجوم عناصر "داعش"، وملء المستودعات بالأسلحة والذخائر بحجة إتاحة المجال لعناصر التنظيم للوصول إلى القلمون ومحاربة جيش الإسلام

" مسؤول سابق بالنظام يكشف كيف تم تسليم " تدمر " لداعش " ، موقع عكس السير ، تاريخ النشر 2016-2-16 <http://bit.ly/2n6PBbd>

¹⁰⁸ قامت المليشيات المشروع الإيراني بعد معارك "تحرير تدمر" المزعومة بتنفيذ العديد من الإعدامات الميدانية ذبحاً بالسكاكين لرجال مسنين من أهالي تدمر في ساحة المدينة واعتقال العشرات واقتيادهم إلى جهة مجهولة بحجة انتمائهم ل"داعش"، بينما رفعت أعلام ميليشيا "حزب الله" اللبناني والمليشيات العراقية والأجنبية فوق قوس النصر، كما تواردت الأخبار عن قيام بعض تلك المليشيات بعمليات التنقيب عن الآثار في الجهة الجنوبية لمعبد بل واستخدام بعض المعدات الثقيلة بالحفر، وتكسير بعض التماثيل في المتحف وذلك لاتهم تنظيم الدولة بذلك

" بالصور - تدمر: من إرهاب "داعش" إلى إجرام الميليشيات الإيرانية" ، موقع القوات اللبنانية، تاريخ النشر 2016-3-30 <http://bit.ly/2lzlnB>

¹⁰⁹ المصدر السابق

سادساً: مستقبل مليشيات المشروع الإيراني في سورية:

لا يمكن الحديث عن مستقبل مليشيات المشروع الإيراني في سورية، بشكل منفصل عن مستقبل الملف السوري السياسي الذي لا تبدو ملامحه واضحة حتى الآن، وخاصة مع التركيز على شرط خروج المليشيات الأجنبية من سورية كأحد شروط إطلاق الحل السياسي في سورية، وتأمين البيئة الآمنة والمحايدة، حيث يبدو أن هناك علاقة تأثير متبادلة بين مستقبل المليشيات التابعة لإيران وشكل الحل السياسي النهائي، وبالنظر إلى تعقيد المشهد الحالي وتداخل المصالح الإقليمية، من الصعب جداً توقع سيناريو كامل لمستقبل هذه المليشيات.

وترسم إحدى الدراسات ذات الصلة ستة سيناريوهات لمستقبل تلك المليشيات¹¹⁰، ومدى موافقتها لمصالح الأطراف المعنية، ومدى احتمالية تحقق كل سيناريو، يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

مدى موافقته لمصالح كل من						السيناريو
الاحتمالية	نظام الأسد	"حزب الله"	إيران	"إسرائيل"	روسيا	
↓	✗	✗	✗	✗	✗	حل المليشيات بالكامل
↑	✗	✗	✗	✗	✗	دمج المليشيات بشكل كامل في صفوف جيش النظام
↓	✗	✗	✗	✗	✗	دمج المليشيات بشكل كامل في صفوف الأجهزة الأمنية
↓	✗	✗	✗	✗	✗	حل المليشيات ونزع سلاحها
↑	✗	✗	✗	✗	✗	قوننة وجودها كقوات موازية
↓	✗	✗	✗	✗	✗	بقاؤها على حالها

↑	احتمالية مرتفعة
↑	احتمالية متوسطة
↓	احتمالية منخفضة
✗	ملائم بشكل كبير
✗	ملائم بشكل أقل
✗	غير ملائم
✗	مرفوض

¹¹⁰ ستة سيناريوهات لمستقبل المليشيات الموالية للنظام في مرحلة ما بعد الحرب، معهد هولندا للعلاقات الدولية، ترجمة المرصد الاستراتيجي، تاريخ النشر

أذار 2019، <http://bit.ly/2kYyCqC>

وترى الدراسة أنه لا يوجد هنالك سيناريو واحد يمكن من خلاله إرضاء مصالح الجهات الثالثة الفاعلة (روسيا، إيران، نظام الأسد)، وبالتالي ليس هنالك تسوية سهلة لتضارب المصالح، إلا أن السيناريوهات التي يلتقي عليها النظام وروسيا أكثر من تلك التي قد يلتقي عليها النظام وإيران.

وبالنظر إلى السيناريوهات المقدمة في الدراسة المشار إليها أعلاه، تبدو بعض التصورات غير دقيقة بما يلزم بالشكل الذي قدمت به، خاصة وأن لكل خيار مطروح عدد من السيناريوهات الجزئية التي لم يتم التطرق لها والتي قد يكون لبعضها توابع مختلفة عن الأخرى، كما أنه يمكن أن يتم تركيب بعض السيناريوهات الفرعية لتشكيل سيناريوهات جديدة من الصعب التنبؤ بشكلها.

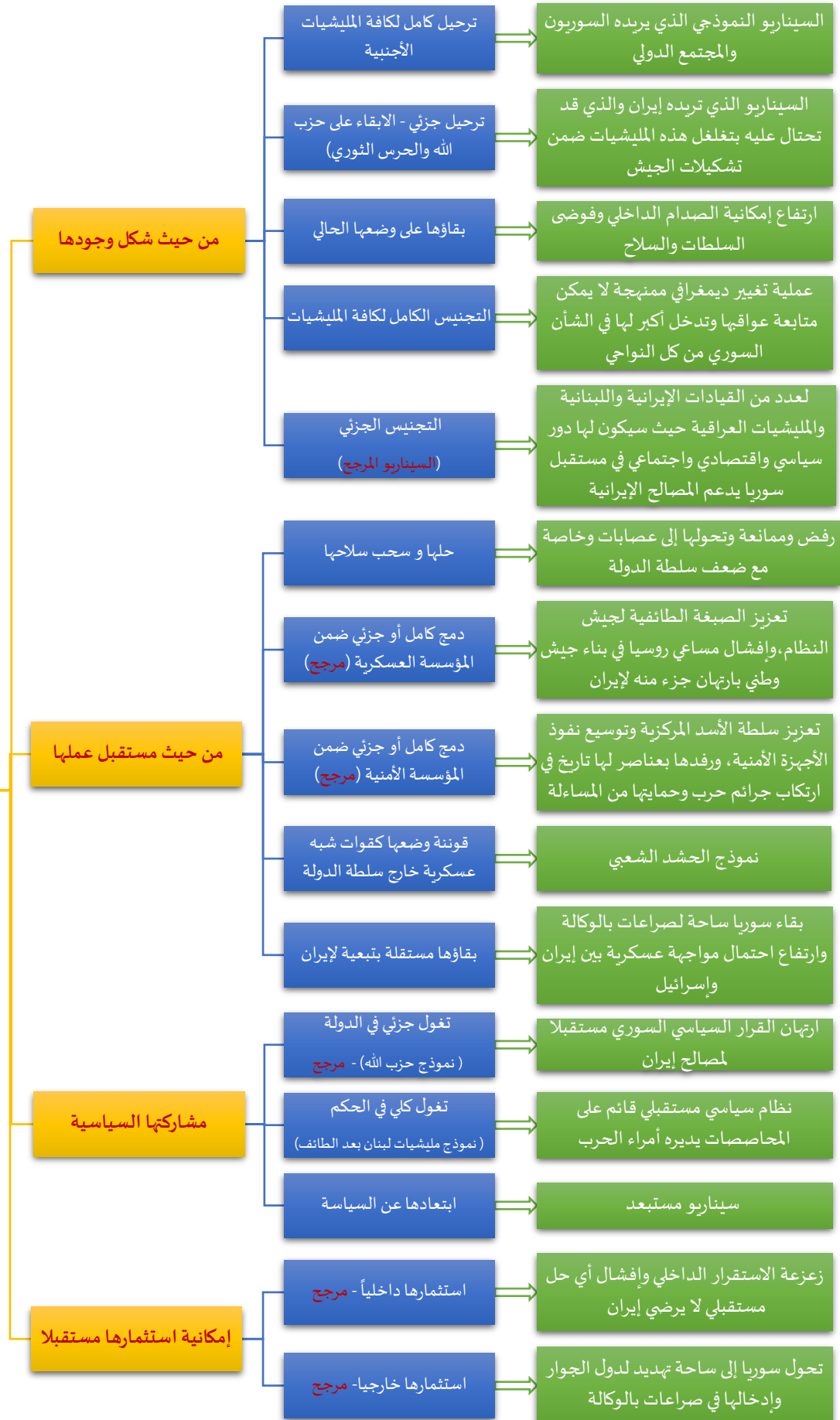
ويمكن تخيل مجموعة من السيناريوهات الفرعية -في المخططين التاليين- لمستقبل تلك المليشيات حيث يمكن أن تختلف السيناريوهات تبعاً لجنسية تلك المليشيات الشيعية، أو تبعاً للأدوار التي ستلعبها مع العلم بأن كلا التصورين قد يتقاطعان في بعض النقاط¹¹¹.

¹¹¹ لا بد من الإشارة إلى أن هذه السيناريوهات ليست حدية حيث يمكن أن يكون لكل سيناريو تفرعات جانبية، فعند الحديث على سبيل المثال عن المليشيات الأفغانية فقد يتم تجنيس بعضها وترحيل آخر، حيث إن الجزء الذي سيتم تجنيسه، قد يذهب بعضه باتجاه الاندماج في أجهزة الدولة، بينما يتحول والبعض إلى عصابات، والبعض إلى نموذج حزب الله...إلخ.

مستقبل وجود مليشيات المشروع الإيراني في سورية تبعاً لجنسية أفرادها



مستقبل مليشيات المشروع الإيراني من حيث شكل وجودها ودورها



وبالنظر إلى المعطيات الحالية، وصعوبة التنبؤ بمستقبل تلك الميليشيات في ظل الضبابية والسيولة الشديدة في المشهد السوري، يمكن أن نرسم ثلاثة سيناريوهات بناءً على الوقائع التي تم سردها خلال الدراسة وعلى احتمالية الحدوث وهي¹¹²:

- 1- السيناريو "النموذجي" الأقل احتمالاً: وفق الرؤية الدولية
- 2- السيناريو الأكثر احتمالاً: استنساخ تجربة الحشد الشعبي
- 3- السيناريو المرجح الحدوث

السيناريو "النموذجي" – الأقل احتمالاً - وفق الرؤية الدولية

على الرغم من أن هذا السيناريو "النموذجي" يركز على خروج كامل للمليشيات الأجنبية من سورية، ودمج التشكيلات المحلية ضمن المؤسسة العسكرية القادمة، هو السيناريو المطروح من قبل المجتمع الدولي كأحد بنود تحقيق البيئة الآمنة والمحايدة المرافقة لتطبيق الحل السياسي في سورية¹¹³، إلا أنه يبدو سيناريو غير قابل للتطبيق وخاصة مع حالة الجمود السياسي، وعدم وجود أية خطوة جادة للمضي في العملية السياسية وفق الرؤية الدولية، وانحرافها لصالح الطرح الروسي.

كما لا يبدو واضحاً من هي الجهة القادرة على إجبار إيران على إخراج مليشياتها من سورية، خاصة بعد تراجع فصائل المعارضة المسلحة وانحسار نفوذها في مساحة جغرافية محدودة، في حين لا يمكن التعويل على الضغط السياسي، ولا على العقوبات الاقتصادية التي لم تجبر إيران سابقاً على تقديم تنازلات، ولا حتى على جهود روسيا أو ضربات "إسرائيل"؛ نظراً لأنه من المرجح أن هذه الجهود تريد تحجيم دور إيران في المنطقة والاستفادة منه ولا تريد إنهاءه.

وتظهر متابعة الواقع الميداني إلى أن أعداد مليشيات المشروع الإيراني غير السورية بدأت بالتناقص؛ نتيجة تراجع الدعم، إلا أن ذلك التناقص لم يكن بنسب كبيرة، ولم يطل سوى الميليشيات الصغيرة، ولم يظهر بشكل واضح، وبالتالي لا يوحي هذا التناقص بنية حالية لخروج هذه الميليشيات من سورية، بل على العكس قامت بعض هذه الميليشيات بعمليات إعادة انتشار وتموضع وتقاسم لمناطق النفوذ بعد استقرار الوضع العسكري بشكل نسبي¹¹⁴.

كما سعت هذه الميليشيات المحلية وغير المحلية إلى البحث عن مصادر تمويل جديدة، لتعويض النقص في الدعم مع بقاء ولائها وتنسيقها مع إيران، وذلك من خلال دخولها في بعض المجالات الاقتصادية، أو رعايتها للأنشطة غير المشروعة كالخطف والسرقة والابتزاز وتجارة المخدرات¹¹⁵.

¹¹² وضعت هذه السيناريوهات بناءً على الوقائع والمعطيات الحالية، والتي من المرجح استمرارها على المدى القريب والمتوسط، أما في حال حدوث تغييرات في الموازين الدولية والإقليمية فقد تتغير السيناريوهات واحتمالات حدوثها مثل حدوث مواجهة مع إيران، أو تغيير جذري في السياسة الأمريكية، أو حدوث تغيير في البنية السياسية للأنظمة الحاكمة في المنطقة وتحديداً في العراق ولبنان... إلخ.

¹¹³ رغم عدم وجود نص صريح في قرارات مجلس الأمن حول خروج الميليشيات الأجنبية من سورية، إلا أن الكثير من النقاشات التي دارت خلال مفاوضات جنيف ومع المبعوث الأممي ستيفان ديمستورا ركزت على خروج الميليشيات كأحد عوامل تطبيق البيئة الآمنة والمحايدة الضرورية لإقامة الانتخابات

¹¹⁴ راجع فقرة "القواعد العسكرية ومناطق الانتشار" في الورقة الثانية من هذه السلسلة.

¹¹⁵ راجع فقرة الأدوار غير القتالية للمليشيات المشروع الإيراني في سورية في الورقة الثانية من هذه السلسلة.

وبالتالي تشير الوقائع على الأرض أن تلك المليشيات تجهز نفسها للاستقرار في سورية، وأن سيناريو خروجها الكامل مستبعد الحدوث في المدى القريب والمتوسط، مالم يتغير المزاج السياسي الدولي، ويدفع باتجاه تطبيق القرارات الدولية السابقة بشكل جدي وفعال، أو ظهور -على المدى الطويل- حراك سوري مدني وعسكري، يعتبر وجود هذه المليشيات شكلاً من أشكال الاحتلال، ويقود حركة تحرر وطني مستخدماً كافة الأدوات والوسائل المتاحة.

سيناريو خروج كامل المليشيات الأجنبية وفق التصور الدولي السيناريو "النموذجي"	
عوامل النجاح	<ul style="list-style-type: none"> - ظهور حركة مقاومة شعبية رافضة للوجود الإيراني بشقيه العسكري والمدني والاجتماعي في سورية، واستهداف بعض قيادات هذه المليشيات بعمليات انتقامية، مما سيقلص فرص استقرار هذه المليشيات في سوريا ويشجعها على الرحيل. - إعادة ترتيب الصفوف الداخلية للمعارضة السورية، وزيادة التمثيل الشعبي لها، والتوافق على رؤية موحدة لشكل الحل السياسي وسقف تفاوضي لا تتجاوزه. - فشل روسيا في مساعي فرض تصورها السياسي في سورية، وخاصة اللجنة الدستورية بشكلها الحالي. - ضغط أمريكي إسرائيلي باتجاه إبعاد إيران وتقليص نفوذها في المنطقة. - ضغط عربي وخاصة من دول الخليج لإخراج إيران ومليشياتها من المنطقة. - تغير المزاج الدولي وخريطة التحالفات، والعودة إلى مسار جنيف وتصوره كاملاً، أو الوصول إلى توافق سياسي دولي يقتضي إبعاد الأسد عن الحكم واستبداله بشخص آخر أبعد عن إيران وأكثر قرباً من روسيا. - نجاح الثورات الشعبية في لبنان والعراق بتحقيق مطالبها وتحجيم نفوذ إيران ومليشياتها. - تطور المواجهات العسكرية بين إيران من جهة و"إسرائيل" وأمريكا من جهة أخرى، وتشكيل تحالف لمواجهة هذه المليشيات على غرار التحالف لمواجهة "داعش". - تزايد الحصار الاقتصادي على إيران وعجزها عن دفع الاستحقاقات المالية للمليشيات ومقاتليها.
المعوقات	<ul style="list-style-type: none"> - نجاح المفاوضات الأمريكية الإيرانية بخصوص الملف النووي الإيراني عبر صفقة. - توالي خسارة المناطق الواقعة تحت سيطرة المعارضة السورية نتيجة حملات التصعيد العسكرية المدعومة روسيا. - قدرة القوى التابعة لإيران على حسم الثورات في كل من لبنان والعراق وإنهاءها. - التوافق الدولي على شكل الحل الروسي، والتخلي عن التصور الأممي لشكل الحل السياسي. - انسحاب شكلي للمليشيات الإيرانية من الحدود الجنوبية بشكل يهدئ مخاوف "إسرائيل".
الآثار المباشرة	<ul style="list-style-type: none"> - تخفيف الفوضى الأمنية في سورية وزيادة احتمالية استعادة الاستقرار. - تراجع أنشطة التشيع وتغيير الهوية الثقافية، وإيقاف أنشطة التجنيد. - تسهيل عودة النازحين لبعض المناطق التي هجروا منها كالقصير وداريا.

- انطلاق عملية إعادة الإعمار كنتيجة لتطبيق الحل السياسي وأهم شروطه التي يتمسك بها المجتمع الدولي.	
- استعادة السيطرة السورية على المناطق الحدودية.	
- إضعاف الهيمنة الإيرانية على سورية.	الآثار
- تخفيف احتمالية الانقسام الطائفي في سورية، وزيادة فرص نجاح مشاريع التعافي والسلام الأهلي.	طويلة الأمد
- ضربة كبيرة للمشروع الإقليمي الإيراني وتحجيمه جزئياً.	
- منع تكرار تجربة استقدام وتجنيد المقاتلين الأجانب.	
- السعي لاستصدار قرار أممي واضح ينصُ صراحة على ضرورة خروج هذه المليشيات تحت الفصل السابع.	التوصيات
- السعي لتصنيف جميع المليشيات كجماعات إرهابية.	
- إطلاق دعاوى قضائية على المتورطين من عناصر تلك المليشيات أفراداً وقيادات ومقاضاتهم حول مسؤوليتهم في ارتكاب جرائم حرب.	
- إطلاق حملة إعلامية عالمية تسلط الضوء على انتهاكات هذه المليشيات وأثرها في سورية	
- الضغط الدبلوماسي على الدول المعنية بالقضية السورية ومحاولة إعادة مسار الحل السياسي إلى مسار جنيف.	

السيناريو الأكثر احتمالاً: النسخة السورية من "الحشد الشعبي"

تشير الأنشطة التي تمارسها مليشيات المشروع الإيراني في سورية والتحويلات التي أظهرتها إلى أن إيران تسعى لاستنساخ تجربة "الحشد الشعبي" في العراق وتكرارها في سورية، حيث ستسعى إيران لاحقاً لتحويل النسختين العراقية والسورية للصورة المتقدمة النموذجية والأكثر فائدة بالنسبة لإيران: تجربة "حزب الله" في لبنان، والتي تفوقت على مليشيا الحشد الشعبي بكونها الأكثر نخبوية والأعمق عقيدة والألصق انتماءً بإيران، بالإضافة لكونها الأقدر على خلق تأثير عميق في مجريات الأحداث الداخلية والخارجية.

وبالعودة إلى السيناريو السوري، يمكن تخيل تكرار سيناريو "الحشد الشعبي" العراقي¹¹⁶ بنفس التفاصيل العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية مع اختلافات بسيطة؛ نظراً لأن أصل نسبة الطائفة الشيعية

¹¹⁶ عملت إيران على دعم تنظيمات مسلحة كفيلق بدر منذ أيام حكم صدام حسين لإقلاق نظام حكمه واختراقه، ثم استغلت التدخل الأمريكي العسكري في العراق وسارعت إلى تأسيس جماعات شيعية وتسليحها بحجة ضبط الفوضى ومقاومة الوجود الأمريكي كعصائب أهل الحق ومليشيا "النجباء" وكتائب "حزب الله" العراقية، ثم استثمرت ظهور "داعش" واستقطبت أعداداً جديدة تحت مسميات مختلفة، إلا أن إيران اعتمدت على المليشيات الأقدم بشكل أكبر، لأنها أطمأنت لولائها ولأن تلك المليشيات كانت أكثر خبرة وتنظيماً وعقيدة وقدرة على استقطاب دماء جديدة من شيعية العراق. وعلى الرغم من تقنين وجود الحشد الشعبي في الدولة العراقية لا تبدو المهام الأمنية لتلك القوات واضحة، حيث بدأت مليشيات الحشد الشعبي بإنشاء مناطق أمنية وحواجز تفتيش في الشوارع العامة وعملت على تنفيذ حملات اعتقالات بحق المدنيين دون أوامر قضائية وملاحقة كل من ينتقد هذه التصرفات والتضييق على حرية الرأي و تجنيد شباب السنة بالإكراه وملاحقة المعارضين وتصفيتهم بحجة الانتماء لـ"داعش" كما بدأت بعض قادات الحشد بالاصطدام مع بعض أجهزة الدولة كالجهاز الأمني العراقي (قسم مكافحة الإهاب) المدعوم أمريكياً و جهاز الشرطة المحلية والاتحادية في محاولة لتوسيع النفوذ والهيمنة على أجهزة الدولة خاصة مع ادعاءهم بأن قوتهم العسكرية وتأهيلهم القتالي يفوق قدرة الجيش العراقي.

في سورية ضيئة جداً، وهو ما يفسر الضغوطات الإيرانية لتجنيس المقاتلين وعائلاتهم، والتركيز على أنشطة التشييع المعلنة والمستترة تحت ستار إغاثي أو تعليمي.

وبالتالي يمكن رسم الخطوط العامة التي تظهر ملامح هذا السيناريو والتي تتجسد في بقاء المليشيات الأجنبية التي أثبتت ولائها والتي كان لها تأثير واضح في مجريات الأحداث، بعد أن يتم تجنيس قياداتها وعناصرها والشخصيات الهامة والمؤثرة فيها، فيما سيتم إخراج بعض المليشيات المتبقية "استجابة للقرارات والضغوطات الدولية".

وستقوم تلك المليشيات التي أثبتت وجودها على الأراضي السورية باستقطاب وتجنيد المزيد من السوريين من خلال تقديم الإغراءات المادية والحماية، وإعادة بناء هياكلها وفروعها بكوادرات سورية، وسترافق عمليات التجنيد بأنشطة تشييع تستهدف المجندين من جهة، وتستهدف اليافعين والأطفال والأيتام والعائلات الفقيرة التي ستكون البيئة المثالية لإخراج جيل مستقبلي يدين بالولاء، وينتهي بالعقيدة لإيران و"ولاية الفقيه"، ويرفد المشروع الإيراني بعناصر مقاتلة مؤدلجة تكون وقوداً لتمدد نفوذها الإقليمي وحرورها بالوكالة.

وستظهر هذه المليشيات العسكرية تحولات أوضح لأشكال نظامية أو مدنية، فقد تنخرط ضمن المؤسسة العسكرية والأمنية، أو تتحول إلى شكل مؤسسات أمنية خاصة، إلا أنه من المرجح أنها ستركز على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وستقدم مرشحها مستقبلاً لخوض الانتخابات وتحقيق تمثيل

وعلى المستوى الاقتصادي اتبعت مليشيات الحشد الشعبي سياسة داخلية تسعى لتحقيق استقرار اقتصادي له - إلى جانب تمويله من إيران - وذلك من خلال حصوله على استقطاعات كبيرة من ميزانية الدولة بحجة مكافحة الإرهاب وصلت إلى 3 ترليون دينار عراقي عام 2017 رغم الأزمة الاقتصادية التي يعيشها العراق، إضافة إلى اقتطاع رسوم وضرائب من الموظفين بحجة دعم الحشد وصلت إلى نسبة 4% من رواتبهم.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد سعت مليشيات الحشد الشعبي إلى التأثير في بنية المجتمع عبر الإعلام وذلك من خلال القنوات التلفزيونية التي سوقت لهذا الحشد على أنه الحصن المنيع في مكافحة الإرهاب، مستغلة قرابة 32 قناة فضائية بعضها يتبع لبعض فصائل الحشد تبعية مباشرة وبعضها يواليه ويقوم بتلميع صورته، حيث تمكنت هذه القنوات من زيادة التعاطف الشعبي الشيعي والحاضنة الاجتماعية وبات الحشد الشعبي يعرف باسم "الحشد الشعبي المقدس" أو "حشد الله" أو "رجال الله" حيث تم إسباغ قدسية دينية عليه جعلته من الخطوط الحمراء التي لا يمكن انتقادها أو تجاوزها.

وعلى المستوى الديني تسبب وجود الحشد الشعبي وولاؤه المباشر لإيران بصراعات دينية خفية داخل المرجعيات الشيعية وخاصة مرجعية النجف، مما دفع السيستاني لإنشاء مليشيات مسلحة لحماية وجوده، كما زادت حدة الاستقطاب الداخلي الديني بعد إصدار مقتدى الصدر فتوى بوجوب حل مليشيات الحشد بعد الانتهاء من "داعش".

وعلى المستوى السياسي عمل الحشد الشعبي على الدخول في المجال السياسي من خلال مشاركته في الانتخابات البرلمانية في محاولة لتثبيت نفوذه السياسي إلى جانب قوته العسكرية التي شرعها القانون والدستور، وتتبع خطوات "حزب الله" في لبنان بتشكيل دولة داخل الدولة، حيث استغل الانتصارات التي حققها على تنظيم "داعش" ليسوق لنفسه على أنه الضامن الوحيد للمكتسبات السياسية التي حققها الشيعة في العراق.

وعلى الرغم من أن الفصل التاسع من الدستور العراقي يمنع تشكيل فصائل مسلحة، و يمنع القانون أيضاً تلك المليشيات من تشكيل أحزاب سياسية أو الانخراط في نشاط سياسي، ورغم أن بعض قيادات تلك المليشيات التي دخلت في تحالفات سياسية داخلية مسجلة أميركياً في قوائم الإرهاب، إلا أن تلك المليشيات أثبتت أنها فوق القانون والدستور وأنها قادرة بالدعم المقدم لها فرض وجودها على المشهد العراقي بالأمر الواقع.

ويقدر عدد ميليشيات «الحشد الشعبي» في العراق بنحو 180 ألف مقاتل بحسب التقارير الرسمية العراقية: تدفع الدولة العراقية رواتب 120 ألف متطوع وفق تأكيدات حكومية، وأن أكثر من 30 ألف فرد آخرين يتلقون رواتبهم من من المرجعيات في كربلاء والنجف؛ فيما يتسلم نحو 30 ألفاً رواتب من مؤسسات عسكرية ومخابراتية متنوعة ومرجعيات إيرانية.

المصادر: "إيران ومستقبل المليشيات المسلحة في عراق ما بعد داعش"، مجلة الدراسات الإيرانية - العدد 3، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية،

حزيران 2017، <http://bit.ly/2n9YLUo>

"المليشيات الشيعية بعد «داعش».. مسلحون يتمددون في الحقل السياسي" صحيفة الشرق الأوسط، تاريخ النشر 2018-1-29، <http://bit.ly/31Mi9Gm>

سياسي، يؤمن إحكام قبضتها على مفاصل القرار السوري أو المشاركة بشكل فعال في تنفيذ الحل السياسي المرتقب¹¹⁷.

ومما يرفع عوامل نجاح تطبيق هذا السيناريو، تأخر انطلاق عملية الحل السياسي في سورية، والتي من المفترض أن تبدأ مع حصول توافق دولي بين الدول المعنية بذلك وهو أمر لا تظهر ملامحه حتى الآن، وبالتالي تملك إيران ومليشياتها فرصة كبيرة لترسيخ وجودها وحمايتها مكاسبها، والتجذر في الأرض السورية بشكل يصعب معه اقتلاعها اجتماعياً أو ديمغرافياً أو اقتصادياً.

إلا أن فشل هذا السيناريو مرهون أيضاً بعدة عوامل، منها وعي المجتمع السوري لخطورة هذه السياسات التي تمارسها أدوات إيران في المنطقة مقاومته لها، واحتمالية حدوث صدام عسكري "روسي - إيراني" أو "إيراني- إسرائيلي"، قد يشعل حرباً إقليمية بالوكالة في المنطقة، خاصة إن فشلت الجهود الدولية للتفاوض مع إيران حول برنامجها النووي، أو حدث تحرك لدول الخليج لمواجهة التهديدات الإيرانية.

كما تشكل الثورات الشعبية التي اندلعت بشكل مفاجئ في كل من العراق ولبنان وحتى إيران تهديدات حقيقية للمشروع الإيراني بشكله الطائفي؛ نظراً لأن الاحتجاجات أخذت طابعاً شعبياً وطنياً تغلب على الاصطفافات الطائفية التي حاولت إيران تثبيتها في المنطقة¹¹⁸.

النسخة السورية من "الحشد الشعبي"	
السيناريو الأكثر احتمالاً	
عوامل النجاح	- نجاح مساعي التفاوض الإيراني الأمريكي حول الملف النووي الإيراني. - جمود المفاوضات والمسار السياسي السوري لفترة طويلة، بما يسمح لتلك المليشيات بترسيخ وجودها. - الوصول إلى توافق دولي للحل السياسي وفق التصور الروسي بعيداً عن تصور جنيف تكون فيه إيران شريكاً أساسياً وتؤخذ بمصالحها بعين الاعتبار. - تزايد عمليات التجنيس وعمليات التغيير الديمغرافي. - انسحاب "حزب الله" والقواعد الإيرانية من الجنوب السوري بعد تأسيسهم لمليشيات محلية تتبع لهم وتدين بالولاء. - عودة ظهور "داعش" أو التنظيمات الإرهابية بتسميات أخرى ربما، وتصدير مليشيات المشروع الإيراني كأداة لمحاربة الإرهاب مجدداً. - قدرة المليشيات التابعة لإيران على حسم الثورات في كل من لبنان والعراق وإنهاءها.
المعيقات	- تغير المزاج الدولي وعودة المسار السياسي بعيداً عن الحل الروسي.

¹¹⁷ تشير بعض الوقائع إلى أن مليشيات المشروع الإيراني في سورية تسعى للدفع بهذا التوجه، حيث يمكن قراءة ذلك من خلال مشاركة شخصيات مقربة من لواء الباقر السوري بمؤتمر الحوار السوري الذي انعقد في سوتشي 2018، أو تقديم ممثل عنه كمرشح لعضوية مجلس الشعب وفوزه في الانتخابات للمزيد: يمكن العودة إلى فقرة الأدوار غير القتالية، توسيع النفوذ السياسي والاجتماعي، في الورقة الثانية من هذه السلسلة

¹¹⁸ يمكن اعتبار أن نجاح المحتجين في كل من لبنان والعراق في تحجيم نفوذ إيران وأدواتها في بلادهم، سيشكل ضربة قوية لمشروعها في المنطقة، وسيفسح المجال أمام السوريين لالتقاط أنفاسهم والوقوف في وجه التمدد الإيراني خاصة وأن الحلول الطائفية أثبتت فشلها في إقامة دولة تؤمن حياة مستقرة وكرامة للناس، وأن التدخل الإيراني في دول الجوار قادها إلى الخراب والدمار

<ul style="list-style-type: none"> - ضغط "إسرائيل" على روسيا والولايات المتحدة من أجل إخراج الميليشيات التابعة لإيران والتضييق عليها. - ارتفاع وتيرة الاستهداف الإسرائيلي لقواعد وقيادات في تلك الميليشيات. - تغير موازين القوى على الأرض، وقيام فصائل المعارضة السورية بمعارك هجومية. - ضغط دولي عربي (خليجي) لإخراج إيران أو تحجيم نفوذها في سورية. - تضارب في المصالح الروسية الإيرانية وحدوث صدمات عسكرية فيما بينها. - نجاح الثورات في دول الجوار (لبنان والعراق) في تحقيق تغيير سياسي سلمي 	
<ul style="list-style-type: none"> - زيادة الفوضى الأمنية وتحول الميليشيات لدولة داخل الدولة. - نهب موارد ومقدارات الدولة وزيادة الأنشطة غير المشروعة كتجارة السلاح والمخدرات - استمرار جهود التشيع وإقامة المربعات الأمنية . - زيادة وتيرة عمليات التجنيد. 	الآثار المباشرة
<ul style="list-style-type: none"> - تثبت عملية التغيير الديمغرافي وعمليات التشيع و تغيير الهوية الثقافية - زيادة حدة الانقسام الطائفي في المجتمع السوري. - إفشال مساعي عودة اللاجئين واسترجاع حقوقهم. - ارتهان القرار السوري لإيران بشكل أكبر. - استنزاف الشباب السوري في معارك عبثية داخلية أو عابرة للحدود، وتجنيدهم كأدوات لخدمة المشاريع الإيرانية. - تحول الميليشيات العسكرية للشكل المدني وانخراط بعض أفرادها في المجال السياسي أو الاقتصادي. 	الآثار طويلة الأمد
<ul style="list-style-type: none"> - إطلاق حملة توعية شعبية تستهدف المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام تسعى إلى التنبيه لخطورة ممارسات تلك الميليشيات وتدعو إلى مقاطعة أنشطتها التعليمية والاجتماعية. - الاهتمام بعمليات التوثيق للجرائم والانتهاكات التي تقوم لها تلك الميليشيات. - إنشاء فرق رصد لمتابعة الأنشطة التي تنخرط بها تلك الميليشيات، وتحديد رجالاتها وأدوارهم ومتابعة الجهات الداخلية والخارجية التي تتعامل معها. - العمل على مسار سياسي دبلوماسي يهدف إلى التأثير على الدول العربية وتوعيتها للخطر الذي ستعرض له من بقاء هذه الميليشيات في سورية. 	التوصيات

السيناريو الثالث: صدمات داخلية أو جرح المنطقة الى حروب عسكرية بالوكالة¹¹⁹

ترتفع احتمالية حدوث هذا السيناريو بالتزامن مع طول فترة جمود العملية السياسية، فمن المعروف أن الميليشيات المسلحة غير النظامية غالباً ما تتحول إلى عامل مخرب للأمان والاستقرار، خاصة بعد أن تنتهي

¹¹⁹ يختلف السيناريو الثاني عن السيناريو الثالث، بأن السيناريو الثاني الذي يشير إلى تكرار تجربة الحشد الشعبي وذلك ضمن حالة من الاستقرار تتعلق بالوصول إلى حل سياسي يسمح لإيران بتثبيت نفوذها في المنطقة ثم قوتها وجودها فيها، بينما يتحدث السيناريو الثالث عن استمرار حالة المماطلة والتأخير في الحل السياسي، وبقاء الوضع على ما هو عليه حالياً، ولفترة طويلة دون تغير في الوضع الحالي لتلك الميليشيات

مهامها القتالية، حيث تبدأ كل منها بمحاولة تحصيل الثمن المناسب، لقاء مشاركتها وتثبيت وجودها وسلطتها ونفوذها ودورها المستقبلي، والتعويض عن الخسائر التي لحقت بها.

وقد شهدت سورية سابقاً عقب أحداث الثمانينات سيناريو مشابه، بعد أن تضخم دور القوات التي شاركت في قمع أحداث الثمانينات كسرايا الدفاع بقيادة "رفعت الأسد" والوحدات الخاصة بقيادة "علي حيدر" والفرقة الثالثة بقيادة "شفيق فياض"، وبدأت صلاحياتها ونفوذها تتضارب فيما بينها وتهدد وجود نظام الأسد الأب حتى من أقرب جهة إليه، حيث احتاج الأسد الأب بضعة سنوات كي يتخلص من تلك القوات ومن قادتها، ليتولى أبنائه قيادة البديل في الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري¹²⁰.

هذا على المستوى الداخلي أما خارجياً، فيعتقد أنه ستظهر في الأفق ملامح "صدام" إيراني روسي قريب، نتيجة تحقيق الهدف العسكري المشترك، ودخول تحالفات جديدة على خط الصراع، ظهرت في تكليف كل من أمريكا و"إسرائيل" لروسيا القيام بتقليص الوجود الإيراني في سورية إلى أقل مستوياته¹²¹، وإعادة ترتيب الساحة السورية داخلياً؛ تمهيداً لانطلاق الحل السياسي، وهو ما بدأ يظهر بشكل واضح بالمناوشات المتكررة بين مليشيات محسوبة على الطرفين، ومحاولة روسيا استغلال تراجع الدعم الإيراني لشراء ولاء جماعات مسلحة عملت في وقت سابق تحت النفوذ الإيراني¹²².

كما أن تسابق كل من روسيا وإيران لتعويض خسائرهم؛ نتيجة التدخل المباشر في سورية، وسعيهما للاستحواذ على عقود طويلة الأمد في سورية، يجعل الصراع مؤهلاً للتصعيد خاصة مع وجود أذرع عسكرية محسوبة على كلا الطرفين، وهو ما بدأ بشكل واضح في الصراع على استحواذ عقود استثمار مناجم الفوسفات، والتي انتزعتها روسيا من إيران¹²³.

ومن جهة أخرى تشير المساعي الإيرانية بنشر مليشياتها في الجنوب السوري رغم كل التحذيرات والاستهدافات الإسرائيلية إلى أنها تستخدم جميع الأوراق التي في حوزتها لتضمن بقاءها في سورية وبقاء مليشياتها وخاصة "حزب الله"، حيث إنها قد تقامر بالدخول في حرب مع "إسرائيل" عبر جبهتين، في حال وجدت نفسها خارج مسرح الحل السياسي السوري، فلا يمكن لإيران بعد ما قدمته في سورية أن تقبل استبعادها أو الاستغناء عنها أو خسارة مكتسباتها، وبالتالي لن يكون صعباً عليها إعادة خلط الأوراق وتصدير أزمته السياسية والاقتصادية بافتعال حرب مع "إسرائيل" بدافع انتقامي، تدمر ما تبقى من سورية وتوسع رقعة الخراب في المنطقة¹²⁴.

¹²⁰ "دويلات ما بعد الأسدية"، موقع المدن، تاريخ النشر 02/05، <http://bit.ly/2oQrZly>.

¹²¹ "شرط إسرائيلي أمريكي يطالب روسيا بالانسحاب الإيراني من سورية ولبنان والعراق" وكالة سيوتنيك، تاريخ النشر 17-7-2019، <http://bit.ly/2OSjxSs>.

¹²² للمزيد من المعلومات راجع القسم الثالث من الورقة الثانية من سلسلة "مليشيات المشروع الإيراني.. الأدوار ومجالات التأثير (2)"، <http://bit.ly/2XNBICx>.

¹²³ "بعد طرد" مليشيات إيران" .. روسيا تستحوذ على عقود مناجم الفوسفات في البادية"، أورينت نت، تاريخ النشر 25-3-2018، <http://o-t.tv/v1x>.

¹²⁴ رغم أن تورط إيران بحرب مع إسرائيل يبدو أمراً مستبعداً بالنظر للظروف الحالية، إلا أن هناك تحذيرات من إمكانية لجوء إيران لهذا السيناريو في حال تم تضيق الخناق عليها بشكل كبير أو فيما لو ظهرت تهديدات حقيقية تطل وجودها أو تخرب المشروع الإقليمي في المنطقة، خاصة وأنها تملك مقومات تساعدها على إشعال المنطقة.

5 Ways Iran Could Strike Israel (And Start a Bloody Middle East War), The National Interest, 15-5-2019 - <http://bit.ly/2F9ZScp>

صدّامات داخلية أو جر المنطقة الى حروب عسكرية بالوكالة	
عوامل النجاح	<ul style="list-style-type: none"> - استمرار الجمود السياسي وتأخر التوافق الدولي على شكل الحل السياسي - تزايد نشاط المليشيات العسكري، وسعيها لإنشاء مصانع أسلحة أو نقل شحنات ذخيرة وإقامة القواعد العسكرية . - جهود روسية حقيقية لإبعاد إيران من سورية، نتيجة توافق أمريكي إسرائيلي، والتضييق على إيران ومليشياتها. - تزايد أنشطة إيران وحزب الله في الجنوب السوري، وتطور المواجهات في تلك المنطقة. - تكرار السيناريو السوري في قمع ثورات كل من لبنان والعراق .
المعيقات	<ul style="list-style-type: none"> - ضغط "إسرائيل" على روسيا والولايات المتحدة من أجل إخراج المليشيات التابعة لإيران والتضييق عليها. - ارتفاع وتيرة الاستهداف الإسرائيلي لقواعد وقيادات في تلك المليشيات. - تنامي تداعيات العقوبات الاقتصادية على طهران وتجفيف منابع تمويل تلك المليشيات. - تحرك مسار الحل السياسي بشكل يستبعد إيران أو يقلص دورها في سورية.
الأثار المباشرة	<ul style="list-style-type: none"> - زيادة الفوضى الأمنية ونشاط عمليات التجنيد ونقل الاسلحة. - زيادة عمليات الخطف والاعتقال والسرقة والتشليح نتيجة تناقص الموارد الاقتصادية وغياب القوانين الرادعة. - نهب موارد ومقدارات الدولة وزيادة الأنشطة غير المشروعة كتجارة السلاح والمخدرات وسرقة الآثار. - استمرار جهود التشجيع وإقامة المربعات الأمنية.
الأثار طويلة الأمد	<ul style="list-style-type: none"> - تثبيت عملية التغيير الديمغرافي وعمليات التشيع و تغيير الهوية الثقافية. - زيادة حدة الانقسام الطائفي في المجتمع السوري. - تحول سورية إلى بؤرة للصراع قابلة للانفجار بأي لحظة. - استنزاف الشباب السوري في معارك عبثية وتجنيدهم كأدوات لخدمة المشاريع الإيرانية.
التوصيات	<ul style="list-style-type: none"> - الضغط نحو إعادة تفعيل العملية السياسية وفقاً لتصور جنيف¹²⁵. - السعي لمحاسبة المتورطين من قيادات وأفراد تلك المليشيات وملاحقتهم دولياً بشكل يخفف الإقبال على الانضمام معهم. - إنشاء حركة مقاومة شعبية، تفضح ممارسات تلك المليشيات وتسعى إلى التضييق عليهم اجتماعياً واقتصادياً واستهداف قياداتهم وشخصياتهم المؤثرة.

¹²⁵ وفق الإطار التنفيذي للحل السياسي وفق بيان جنيف 2012.

سابعاً: الاقتراحات والتوصيات:

ومما سبق نجد أن استمرار وجود الميليشيات الشيعية في سورية يخلق العديد من التحديات على المستوى الداخلي والإقليمي، ويشكل عاملاً مؤججاً لاندلاع الصراع داخلياً وخارجياً وتهديد أمن المنطقة، كما أنه سيكون حجر عثرة أمام أي حل سياسي مقبل في سورية لا يكون مرضياً لإيران، وبالتالي لا بد من الأخذ ببعض التوصيات الموجهة للسوريين؛ لتقليل تداعيات وجود تلك الميليشيات في سورية¹²⁶:

1. الضغط باتجاه إعادة مسار الحل السياسي في سورية إلى مساره، وفقاً لجنيف وعدم الانصياع للضغوطات الروسية باختزاله أو اختصاره، والتشديد على تطبيق البنود فوق التفاوضية، وشروط البيئة الآمنة والمحايدة بشكل منضبط؛ لضمان فعالية الحل السياسي المرتقب على نزع فتيل الصراع واستعادة الأمن والاستقرار.
2. التأكيد على أن يقود المرحلة الانتقالية ومرحلة ما بعد الحل السياسي في سورية، سياسيون سوريون مستقلون من ذوي الكفاءات لم يرتبوا سابقاً لأي جهة إقليمية، ولم يتورطوا بعلاقات مشبوهة معها.
3. التأكيد على عدم انتفاع الميليشيات الموالية لإيران ورجالها والمنظمات المدنية التابعة لها من مشاريع إعادة الإعمار ومن أي مساعدات إغاثية تقدمها الجهات الدولية بشكل مباشر أو غير مباشر.
4. التشديد على ضرورة إعادة النظر بكافة قرارات التجنيس الصادرة بعد عام 2011 وإبطال كل القرارات الاستثنائية التي لا تنطبق عليها شروط منح الجنسية السورية، ومنع المجنسين الجدد من المشاركة في أي نشاط سياسي قبل مضي مالا يقل عن 10 سنوات على عملية تجنيسهم، وكذلك إعادة النظر في القرارات والمراسيم المتعلقة بمصادرة أموال وأموال المعارضين وفي العقود الاستثمارية طويلة الأمد الموقعة مع إيران.
5. توجيه المراكز البحثية وفرق الرصد لمتابعة مسارات تطور مليشيات المشروع الإيراني السورية والأجنبية، وتحديد رجالها وأدوارهم، ورصد أنشطتها والجهات الداخلية والخارجية التي تتعامل معها.
6. توجيه المراكز البحثية والمنظمات الحقوقية لضرورة دراسة أدوار مليشيات المشروع الإيراني خلال المعارك، وتتبع من كان له دور أو مسؤولية في ارتكاب جرائم حرب، كمنع وصول المواد الإغاثية أو الطبية للمدنيين، أو استهداف المرافق الطبية والمدنية، أو المشاركة في مجازر وعمليات ذبح أو حرق أو تعذيب طالت مدنيين أو عسكريين، والعمل على ملاحقتهم حقوقياً وقضائياً، والحجز على أموالهم وممتلكاتهم.
7. تتبع أنشطة التشييع والتغيير الديمغرافي التي تمت خلال السنوات الماضية، والعمل على استصدار قرارات أممية أو حقوقية تؤكد حق المهجرين والنازحين واللاجئين المادية والمعنوية في المناطق التي أرغموا على مغادرتها، ودعم جهود إعادتهم إليها.

¹²⁶ في هذا السياق، يمكن الانطلاق من وثيقة المبادئ الخمسة للثورة السورية التي توافقت عليها معظم أطراف المعارضة السورية في أيلول/2015 ووثيقة الإطار التنفيذي للعملية السياسية وفق بيان جنيف 2012 المعتمدة في سبتمبر 2016. المجلس الإسلامي السوري يعلن عن وثيقة "المبادئ الخمسة للثورة السورية" على رأسها رحيل الأسد، موقع السورية نت، تاريخ النشر 18-09-2015، <http://bit.ly/2SLBOOf> الإعلان عن الإطار التنفيذي للحل السياسي في سورية، موقع الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، تاريخ النشر 7-9-2016، <http://bit.ly/2FdDrTB>

8. التأكيد على ضرورة أن يضم الدستور القادم لسورية ما يشير إلى ضرورة وجود هيئة قضائية وطنية تختص بالنظر في جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها قوات النظام والمليشيات الأجنبية، بغض النظر عن أي نص قانوني سابق يحصنها من المحاسبة والمحاكمة.
9. فتح تحقيقات من قبل جهات حيادية وبإشراف دولي حول المجازر التي ارتكبت خلال السنوات السابقة، وخاصة ما حمل طابعاً طائفياً والعمل على تعويض المتضررين، ومعاقبة المسؤولين كخطوة أساسية للتعافي المجتمعي.
10. مقاومة ومكافحة جميع الأنشطة المدنية والاقتصادية المشبوهة التي تقوم بها تلك المليشيات، والمتعلقة بتجارة الأسلحة والمخدرات، وأنشطة الدعارة والتهرب.
11. محاصرة وملاحقة أنشطة التجنيد التي تقوم بها تلك المليشيات، وفرض عقوبات على القائمين عليها والمستجيبين لها.
12. التشديد على أن يقوم النظام القادم وفق الحل السياسي بالملاحقة القضائية لجميع وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية التي تقوم بنشر خطاب تحريضي ذي طابع طائفي، ومنعها من الترويج لأي نشاطات قامت بها المليشيات.
13. تقديم تصورات ومشاريع حول كيفية إعادة هيكلة الجيش السوري وأجهزة الأمن على أسس غير طائفية وتحسينه مستقبلاً من ذلك، والتركيز على فك اختراق إيران لبعض قطاعات الجيش كالحرس الجمهوري والفرقة الرابعة وبعض القطاعات الأمنية.
14. تقديم تصورات ومشاريع حول آليات تطبيق برامج العدالة الانتقالية، والمحاسبة لكل من تورط في جرائم حرب أو جرائم ذات صبغة طائفية وتسريع عمليات المحاسبة في محاكم دولية.
15. تقديم تصورات ومشاريع حول آليات بناء أجهزة شرطة مدنية قادرة على ضبط الأمن داخل البلاد وعلى الحدود والمنافذ البرية، تمتلك صلاحيات واسعة وترتبط بأجهزة قضائية مدنية مستقلة.
16. السعي لاستصدار قوانين أو فرض عقوبات صارمة على كل الدول التي يمكن أن تدعم مستقبلاً أي أنشطة أو مجموعات، من شأنها خلخلة الأمن أو تهديد الاستقرار الداخلي في سورية أو دول المنطقة مستقبلاً.
17. العمل على وضع معايير عالمية لتصنيف المليشيات المسلحة بشكل عام، بشكل يسهل إدراج بعضها ضمن قوائم المنظمات الإرهابية، في حال قيامها بأنشطة معينة، ويفرض على رجالها ملاحقات حقوقية ومالية لمتابعة المتورطين بينهم.
18. الضغط على المجتمع الدولي من أجل وضع ضوابط حول الجهات التي يمكن له التعاون معها في عمليات مكافحة الإرهاب، ورفض مشاركة أي جهات غير نظامية أو متهمه بارتكاب جرائم حرب في جهود مكافحة الإرهاب.



مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center



sydialogue



www.sydialogue.com